الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال اليوم الدراسي:

الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة يوم 02 مارس 2017م

منشورات المجلس 2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال اليوم الدراسي

الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد

جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة يوم 02 مارس 2017م

منشورات المجلس - 2017

كـتاب: الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد

- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:** 176

الإيداع القانوني: السداسي الأول 2017
ردمك: 978-9947-821-99-2

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الناسوخ :021.23.07.07

برنامـــج الاحتفائيـــة:

1- القرآن الكريم.

2- النشيد الوطني.

3- كلمة مدير الجامعة أ.د السعيد دراجي.

4- كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية أ.د صالح بلعيد.

5- المداخـــــلات:

*** تجديد العربية: كتـاب (نظريـة اللغـة العربيـة) أنموذجـا،** أ.د يوسـف أوغليسي – جامعة منتوري قسنطينة1 –

*** الذكاء الاصطناعي واللغة العربية،** أ.د زايدي سحنون – عميـد كليـة تكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصال – جامعـة عبـد الحميـد مهـري قسنطينة2 .

***تحديات تعريب العلوم في الجزائر،** أ.د جمال ميموني نائب رئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضـــــاء

والفلك. أستاذ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2.

***إمدادات اللغة العربية – اللهجات أنموذجا،**.د عبد الناصر بـن طنـاش جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

***اللغة العربية لغير الناطقين بها من التعليم إلى الاكتساب،** أ.د شـبايكي الجمعي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

* **اللغة العربية و الهوية في عصر العولمة،** د.نورالدين ثنيو، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

* **البعد الليساني والتغييري للغة العربية،** أ.د ذهبية بورويس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

6- إلقاءات شعرية:

- أ.د ناصر لوحيشي - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-.
- د. ليلى لعوير - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- .
- أ.د نذير طيار - جامعة منتوري قسنطينة1 -

7- تكريمات.

الديباجـــة:

اللغة هي الإنسان تختزل أمكنته و أزمنته، و تصوغ قدرته عل التغيير ومواكبة العصور. إنها لا تحمل العجز في ذاتها، إذا تهيأت لها الأسباب المادية و المعرفية، و هذا هو الذي نستشرفه في تفعيل لغتنا العربية وتحيين عطاءاتها، لأنها تواجه اليوم تحديا خارجيا يتمثل في مزاحمة اللغات الأخرى لها، والغزو الفكري الوافد من الأمم الأخرى في صورة العولمة، التي تريد إزاحة ثقافات الشعوب، والقضاء تدريجيا على التنوع اللساني في العلم. وأمام هذه التحديات وبمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد في أول مارس، وتطبيقا لتوصيات الألسكو فإن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بمعية المجلس الأعلى للغة العربية- الذي رأى إشراك القطاعات ذات العلاقة، وعلى رأسها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ممثلة في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ينظمان إحتفائية مشتركة لإبراز الدور الإيجابي والحقيقي للغة العربية في الحفاظ على المكونات الأساسية للهوية إلى جانب الإسلام و الأمازيغية، و في قدرة اللغة العربية على التوفيق بين الخصوصيات الروحية واللغوية والثقافية والحضارية، و بين متطلبات العولمة.

خطاب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

أ د صالح بلعيد

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛

ـ السيد رئيس جامعة الأمير عبد القادر؛

ـ السادة الأساتذة المبّجلون؛

ـ أيّتها الطالبات أيّها الطلبة؛

السلام عليكم جميعاً، وبعد.

إنّه لمن دواعي النجاح المضمون لهذا اليوم الدراسي أن يكون في جامعة الأمير عبد القادر، وفي مدينة العلم والعلماء، مدينة قسنطينة الشمّاء، مدينة المازيغيين الأحرار. فماذا تنتظرون أن أحدثّكم عن اختيار هذه الجامعة؛ ليحتفيَ المجلسُ الأعلى للغة العربية بمعية هذا الحصن العتيد الذي يُضاهي في الرِفعة العلمية مقامَ الأزهر والزيتونة.

إنّ ترشيح معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي **للاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد** في هذه الجامعة لم يكن ترشيحاً عشوائياً؛ إنّما بُنيَ على ما لهذه الجامعة من أساتيذ وكفاءات وطنية وباحثين قدّموا بصمات الجودة في أعمالهم الأكاديمية. نخبة متميّزة تحوز عليها هذه الجامعة وهي التي قامت على رِفد العربية منذ بدأت هذه الجامعة الإسلامية في دفع مُخرجاتها إلى سوق العمل، فكانت تلك المُخرجات ذات تأهيل عالٍ، ولها من الدراية اللغوية ما

أضافتْ للعربية من إضافات محكّمة كان لها ما كان من الفعالية في الضبط والدقّة والتحرّز والتحقيق والحضور في الوطن وفي خارج الوطن.

لقد جاء ترشيح هذه الجامعة لتحتفيَ في الأوّل من مارس لعام 2017 تجسيداً لتلك التوصية التي أقرّتها الألكسو في سنة 2007 بسنّ الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، وهذا إقرار من الوصاية أن يكون هنا، لما لهذه الجامعة من عُرف علمي ينماز بصورة خاصّة في حسن أداء المواطنة اللغوية، فأنعِمْ به من فعل مُتميّز، وفي جامعة مُتميّزة!

لقد جمعت هذه الجامعة بين المحاسن، وحطّ المجلس الأعلى ثقله فيها، ولم يُراهن على حصان قد يعثُر، بل ربحَ البيعَ من البداية، وما أجملَ أن تركب رهانَ الجودة في جامعة الجودة.

إخواني، كلّكم تعرفون قيمة اللغة الوطنية والرسمية، وتعرفون مقام العربية في حياة الأمّة؛ باعتبارها الأداةَ التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، وعبْرها تقيم روابط الاتّصال بين أبناء الأمّة الواحدة، وبها يتمّ التقاربُ والتشابهُ والانسجامُ، فلا شكّ ودون منازع بأنّ للعربية خصائصَ لا توجد في غيرها، ولهذا لها المَقام العلِي في مجتمعنا، وتُعامل مَعاملةَ خاصّةً؛ حيث أنزلَها الاستعمالُ والوضعُ اللغوي مكانةً مُقدّسةً منذ مجيء الفاتحين لهذه الأرض، بل باركَها الأجداد بأن أبدعوا فيها وبها، وعملوا على تعلُّمها وتعليمها وإتقانها والإنتاج فيها، وازدادت قيمتها المعنوية والرمزية في أنفسهم بفعل الزمان، ووقع احترامُها أيّما احترام.

وفي كلّ هذا لا ننكر أنّها تواجه تحديات حقيقية تتطلّب جهوداً مكثّفة ومستمرّة لفترة؛ حيث تناقصت فيها مجموعة من المواد العلمية، ولم تستطع

مُتابعة مُستجدات العصر في زمن من الأزمان، وكان كلّ ذلك في هذا الوقت من موجِبات الاستدراك تُشارك فيها جهات مُتعدّدة حتى تواكبَالعربيةُ مقتضياتِ الراهن. والراهن يتطلّب زيادةَ مخزون محتواها الرقمي، وسرعةَ الوصول إليه، وإنّنا بحاجة إلى أدوات تقنية ومعلوماتية تعتمد تطبيقات وبرمجيات وأنظمة معالِجة؛ تتلاءم مع خصائص العربية، وتحليلها وبخاصّة محرّكات البحث العربية، والمعاجم المعاصرة المحيّنة باستمرار. ومن الضروري البحث عن آليات التواصل بفعل ما تعيشه اللغات العلمية من فيضان المعلومات، ويجب علينا دراسة المستجدات، ووضعها في إطارها الصحيح وإضفاء الحيوية عليها، ومسايرة حتمية التطوّر وروح العصر.

إخواني الحضور، مرّة أقول: إنّنا اليوم نحتفي باليوم العربي للغة الضاد، وهذا عرفان لما لهذه الجامعة من إطارات تقوم على خدمة البحث العلمي، وما لهم من مخزون المحتوى الرقمي من خلال أبحاثهم الخاصّة، ومنتوجهم الوظيفي الذي يغذي نهم الطالب. وأعرج في هذا القول بأنّ من أهمّ أسباب النهوض بالجامعات وتطويرها تفعيل دورها في النشاط العلمي والجامعةلها رهان وطني تكسبه بما لها من رُتبة وطنية، وبعَددِ الأبحاث العلمية، وببراءات الاختراع، وبمخزونها الشابكي. الجامعة بما لها من مناهج حديثة تتواءم مع تقدّم المعرفة الإنسانية، والعناية بالتأليف الأكاديمي، والتحرّر من سلطة المُقرّر الجامعي الضيّق الذي يُحجِم أحياناً المعرفة، وفي آخر الأمر يتحوّل إلى مُلخّص يتوارثه الطلبة. الجامعة بما لها من جودة التعليم، وتُقاس بكفاءة الخريجين، ومدى فوزهم بالجوائز الوطنية والعالمية. الجامعة بما لها من نوعية أعضاء هيأة التدريس؛ من حيث تمكّنُهم وكفاءتهم ونتاجهم البحثي، ومدى الاستشهاد بأبحاثهم، بالإضافة إلى الاهتمام بمُخرجات البحث العلمي،

ويتضمّن الأبحاث المنشورة في أفضل وأعلى المجلات التي لها السمعة العالمية، وأفضل الأبحاث ما كان تطبيقاً مُضيفاً. وأصدقكم القول بأنّ هذه المعايير متوفّرة بنِسَب مُعتبرة في هذه الجامعة، كما أنّ رصيدَها الطلابي يتوفّر على معطيات عالمية قياساً لتلك الأبحاث الميدانية التي رصدت حُسن أداء طلاب جامعة الأمير وفي عيّنة معتبرة أشادت بنوعية الخريجين، وبنوعية المستوى العلمي المتميّز، وتلك شهادات معتبرة جعلت جامعة الأمير تنال المقامَ القابل للمواصفات العالمية. فمزيداً من التألّق زملائي الأساتيذ، ومزيداً من السمعة العلمية التي أنتم جديرون بها في المحافل الوطنية والعالمية.

وأما بخصوص الطلاب أقول: عودّتنا قسنطينة بالصدارة، فما محمد فرح، والطبيبة زهرة هني، والمخترع صالح ناصري، ومقرئ قسنطينة إلاّ عينات النشاط الوطني في إطار إحراز الجوائز العالمية، والذين تفتخر بهم الجزائر، فأنْعِمْ بهم من رجال المستقبل! ومع ذلك يجب بذل المزيد من الحصول على جوائز أعلى.

إخواني الطلاب، ومن خلالكم أتوّجه للمتصدّرين بتحايا المجلس الأعلى للغة العربية على هذا التصدّر والنجومية، كما أتوجّه لكم بالتحيات الخالصات، وأحثّكم على بذل المزيد لتحقيق النجاحات، وأقول لكم:

ـ ارفعوا سقف الطموحات، وعليكم الاجتهادَ فهو سرّ النجاح؛

ـ انظروا للمستقبل الواعد بالأمل المصحوب بالعمل؛

ـ أسقطوا من قاموسكم السين وسوف وقد كان... فهي ممهّدات التكاسل وبداية الفشل؛

ـ لا تقولوا (كان أبي) إلاّ نتيجة لما تُضيفونه، وعند ذلك افتخروا وقولوا: **نحن الخلف لخير سلف.**

وهكذا نريدكم أن تكونوا كما قالها علاّمة الجزائر (ابن باديس) ونحن نشرف على الاحتفال بيوم العلم الذي نروم أن يكون قيمة مضافة في الاعتزاز بلغة الضاد، فنريد منكم ربح الوقت كما كان السلف يستثمر في الوقت؛ لأنّ الزمن بطيء جداً لمن ينتظر، وسريع جداً لمن يخشى، وطويل جداً لمن يتألّم، وقصير جداً لمن يحتفل، لكنّه الأبدية لمن يحبّ عملَه، فأين محلّكم من كلّ هذا؟

زملائي الأساتذة، إنّنا ممنونون بكم، وبما سوف تقدّمونه في هذا اليوم الدراسي الذي نستمع فيه لثلّة من الباحثين الذين يفتحون الآفاق في معالم حسن الأداء اللغوي لعربية القرآن وعربية الحضارة البشرية، وعربية القارات، وعربية التقانات المعاصرة، وعربية المستقبل فهل نكون أكْفاء وفي مستوى خدمة هذه اللغة؛ لغة الضاد، ونعمل على حلّ تلك المُضايقات التي تنتظرنا، وهل نعمل أن تكون العربية لغةً يُنشَد وُدُّها، ويقع الاستثمار فيها، ويتدافع عليها الطلبُ من غير الناطقين بها، وهل يقع كلامنا في محلّه ليكون قيمة مضافة لا يقع في سوق القول المكرور، وهل يمكن القول بأنّنا نعمل من أجل النوعية والندية لهذه اللغة التي تنتظر منّا الكثير.

هذا قليل من الكثير مما يمكن الحديث فيه عن موقع العربية أو عن مستقبلها، ومع ذلك فما لا يُدرك كلُّه لا يُترَك جلُّه، فلإدراكٍ كاملٍ لأثر هذا الفعل الثقافي لهذا اليوم يقع الحديث عن مستقبل العربية في ظلّ التواصل المعرفي والتوثيق بالعربية، وأهمية التنوّع اللغوي في التعبير عن الفضاءات

الحيوية للمجتمعات، ودور العربية في خلق التنمية المستديمة، والاقتصاد القائم على تحقيق مجتمع المعرفة، وبكلّ هذا نسأل أنفسنا هل تعود العربية إلى سالف ازدهارها...

تلكم هي الأفكار التي نروم أن تكون محلّ مشاريع وطنية وعربية؛ نعمل بالشراكة مع الجامعات، ومع المُختصّين، وعهدي في هذا اليوم الدراسي أن يكون مفتاح التواصل البيني للعمل في شراكة وطنية؛ بُغية الوصول إلى استكناه القضايا اللغوية العالقة، ومُعالجة القضايا الشائكة،وليس ذلك بعزيز إذا وقعت مؤازرةُ المؤسّسات الوطنية في خدمة الشأن العامّ، مع المنتجين للأفكار في قضايا خدمة الهوية، والعربية هوية وطنية وتدخل في الشأن العامّ، ألا نمدّ لها أيدينا جميعاً لتجسيد لغة الهوية الوطنية. وهذا الفعل من الخطط العلمية التي يقوم المجلس الأعلى للغة العربية على تجسيدها؛ من خلال خريطة طريق مُستقاة من **برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة،** وعهدنا على تجسيدها وفق متطلّبات التوجيه والترشيد والتدبير، ونحن في هذا الاتّجاه فاعلون.

أكتفي بهذا المَقول، وأسكتُ عن الكلام المُباح، وأتركه لمن يُحدِّثنا عن الإقامات التقنية وعن تشكيل اللغة المعاصرة، وعن الفهرسة الإلكترونية ومدى إسهامها في حفظ أمثل للنص الأدبي الرقمي، وهذا مبتغانا في تحقيق الجودة اللغوية في ظلّ الواقع الافتراضي الشبكي الذي لا مقامَ للغات لا تنتصرُ للحداثة المرتبطة بالأصالة.

وفي الختام أُزكي خالص الشكر والتقدير لصاحب الفضل معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي على حسن الاختيار والتوجيه السديد، وإلى

البروفسور (السعيد دراجي) مدير الجامعة، وإلى فريقه النشيط، وإلى كلّ الأساتيذ الحاضرين، وبخاصّة الذين سوف يُرافعون عن أبحاثهم العلمية الصارمة الجادة، وإلى أولئك الذين يُشنّفون آذاننا بمُتَع الشعرِ، وما تجود به خواطرُهم من فَذْلكاتٍ أدبيةٍ؛ لأنّ المقامَ مقامُ الاحتفاء. والشكر يتواصلُ ويمتدُّ إلى كلّ الحاضرين والفاعلين في هذا اليوم الدراسي، وإلى كلّ الطلبة، وإلى كلّ القنوات التي تنقل أصواتنا، وتعمل جاهدة من أجل السبق والجودة، فأنْعِمْ بهم من صِحافيين! وإلى تلك العيون التي لا تنام، وهي تسهر من أجل التِئامنا، ومدِّ جسورِ التواصل المعرفي، فنحن لهم من الشاكرين، وإلى كلّ الفاعلين العاملين في العَلَن وفي الخَفَاء، فنحن مَدينون لهم لما يُقدّمونه من جلال الأعمال. وفي الأخير نسأل اللهَ أن يسدّد خُطانا، ويزيدنا نوراً على نور، وبالتوفيق من الله يحصل النجاح.

والسلام عليكم يا مِلاح.

افتتاحية الاحتفاء بالضاد

الوجه الحضاري للغة العربية

تقول الضاد:

وَسِـــــعْتُ كِتـــــابَ اللهِ لَفْظـــــاً وَغايـــــةً

ومَـــــا ضِـــــقتُ عـــــن آيٍ بـــــهِ وَعِظـــــاتِ

فكيْـــــفَ أضِـــــيقُ اليـــــوْمَ عَـــــن وَصْـــــفِ آلـــــةٍ

وَتَنْسِـــــــــيقِ اسْـــــــــمَاءِ لِمُختَرعـــــــــاتٍ

أنـــــا الْبَحـــــرُ في أحْشـــــائِهِ الـــــدُّرُّ كَـــــامنٌ

فهـــــلْ ســـــألُوا الغَـــــوَّاصَ عـــــن صَـــــدفَاتِي

(حافظ إبراهيم)

العربية لغة القرآن الكريم:

الحقيقة التي أقرها دارسو اللغات هي أن اللغة العربية أرقى لغات العالم بما تمتاز به من عذوبة ومرونة وطواعية بمعانيها ومجازاتها واشتقاقاتها ووجوه قلبها وإبدالها ... إن هاته الميزات هي التي أهلتها لتكون لغة القرآن الكريم وسر إعجازه وفقه تشريعاته، فقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (فصلت: 2). وقال أيضا ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ (يوسف: 2). فهي لغة كتاب سماوي معجز، ولغة ديوان شعري حافل

بصور الإنسان والكون والحياة والقيم، ولغة رصيد علمي وفكري ثمين زاخر بموجودات ومكتشفات العصور.

اندمجت مئات ألفاظها كالزكاة والصلاة والجهاد والإيمان والكفر والجنة والنار... وما إليها من الألفاظ مع الواقع الإسلامي الجديد، كما استطاعت أن تكون أداة مطواعة استجابت وانصقلت مع كل ما قدم لها من ثقافات ومعارف وفلسفات، فوسعتها وتمثلتها واحتوتها احتواء كبيرا، فاتسعت آفاقها، وانتشرت ظلالها ... فباتساع رقعة الإسلام ظهرت حياة جديدة و أقاليم ونباتات ونظم وآلات وملابس ومآكل و مشارب... وقد استوعبها العرب كما نستوعب نحن اليوم الحضارة الغربية....، وهكذا انصاعت الكلمات الأعجمية من السريانية و اليونانية والفارسية إلى العربية، وطاوعت لسانها وأساليبها و أوزانها... وترجمت إليها كثير من العلوم والمعارف الهندية واليونانية في مجال الطب والفلسفة والهندسة والرياضيات، وأفلحت في التعبير عن مصطلحاتها بأساليب عربية دقيقة، كاستعمال "مادة وصورة، وجوهر وعرض، وماهية وهوية، وكم وكيف، وموضوع ومجهول، وقضية وفصل، وحد ورسم، واستقراء وقياس، ومقدمة ونتيجة، وقوة وفعل، وكلّي وجزئي، ومطلق ومضاف، وعام وخاص، وإيجاب وسلب، وشرط ومشروط، وعلة ومعلول"، واشتق علماء العربية من كثير من هذه الأسماء أفعالا فقالوا: "قدم المقدمات، وأنتج النتائج"، كما كثر استعمال ياء النسبة، مثل: "علمي، فلسفي، منطقي، رياضي"، وفي بعض الحالات استعملت النسبة بالألف والنون على الطريقة السريانية، مثل: "نفساني، روحاني"، ودخلت لا النافية على الصفات بعد أداة التعريف، مثل: "اللامحدود اللانهائي".

لعربية تنقذ تراث الإنسانية.

لقد ضمت اللغة العربية تراثا هائلا جمعه العرب من الأقبية والسراديب، فأنقذوه بذلك من التلاشي والضياع، وصححوه ورمّموه، ونقحوه وعللوه ووضحوه وقدموه للإنسانية في ثوب قشيب. ويكفي أن كتبا كثيرة ضاعت أصولها اليونانية، لكن ترجماتها العربية لا تزال محفوظة في مؤلفات علماء المسلمين التي تحتفظ بها اليوم المكتبات الكبرى في العالم. ولم تكن هذه اللغة مجرد جسر عبرت عليه الحضارات القديمة، وإنما كانت زيادة على ذلك معجما لغويا واصطلاحيا أثرى الشعر والأدب واللغة والفقه والتصوف .... كما أثرى الفلسفة والتاريخ، والطب والكيمياء والفلك والرياضيات والاجتماع والسياسة والزراعة والصناعة، وغيرها من العلوم والفنون. وكما كانت لغة الجاحظ وابن المقفع والمعري والمتنبي، كانت لغة الكندي والرازي، وابن سينا، وابن رشد وابن النفيس، وابن الهيثم والبيروني والزهراوي، والطوسي، وابن خلدون ... و أنتجت اللغة العربية على لسان هؤلاء العلماء ما لم تنتجه لغة أخرى غيرها، رغم ما ضاع منها في الفتن والحروب! فتاريخها الخالد كشف كيف أنها كانت أداة للتعبير لدى قبائل تعيش في صحاري مقفرة، عن السيف والنخل والفرس والطلل، فتحوّلت إلى لغة دين عالمي، وعلم وفلسفة وحضارة، وكيف تعرّب كثير من المفكرين والعلماء والفلاسفة بسبب اعتناقهم الدين الإسلامي، بل حتى الذين رفضوا هذا الدين، وظلوا على أديانهم من نصارى ويهود، ورغم عداء بعضهم للعرب كالشعوبيين، فإن اللغة العربية كانت هي الطاقة التي فتقت مواهبهم، وألهبت فيهم روح التناظر والتحدي. كما أسهمت اللغة العربية في هدم حواجز

القوميات، وأصبح الإنسان بفضلها يعد نفسه عربيا مسلما، سواء كان فارسيا أم روميا أم قبطيا أم بربريا ... وتحققت بذلك الوحدة اللغوية بين الشعوب الإسلامية مما جعل الدراسات والمعارف ملكا مشاعا بينها، من خراسان إلى الأندلس، وغدت الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وبجاية وفاس وقرطبة مراكز إشعاع حضاري عالمية.

العربية مصدر للحضارة الأوروبية

وفي زمن مشهود، كانت العربية مصدرا هاما من مصادر الحضارة الأوروبية، وعنصرا من أبرز عناصرها، فهذا جورج سارطون يقول في كتابه "المدخل إلى تاريخ العلم": "**عندما أمسى الغرب مستعدا استعدادا كافيا للشعور بالحاجة إلى معرفة أعمق، وعندما أراد آخر الأمر أن يجدد صلاته بالفكر القديم، التفت أول ما التفت لا إلى المصادر الإغريقية بل إلى المصادر العربية**". وذلك فرانسوا بريفو يقول في كتابه "تكوين الإنسانية": "**إن الإغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات، ولكن روح البحث وحشد المعرفة اليقينية، وطرائق العلم الدقيقة، والملاحظة الدائبة المتطاولة كل أولئك كان غريبا عن المزاج الإغريقي، وإنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله، وبكلمة مختصرة أن العلم الأوروبي مدين بوجوده للعرب**".

إن تاريخ الثقافة الأوروبية يخبرنا بأنه لم يكن يوجد في أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي عالم إلا واستنسخ الكتب العربية، فهي المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه علماء وأدباء أوروبا، وقد عرفوها وأتقنوها ... كما أن جامعاتها تعطي للعربية أولوية خاصة، فهذه جامعة كمبردج كانت تشترط

حتى القرن التاسع عشر أن يكون دارس العلوم والهندسة والطب ملما باللغة العربية.

العربية و اللغات الأخرى

لم تكتف العربية بأن تكون أداة نقل وعلم، بل فرضت كثيرا من مفرداتها على عديد من اللغات، وظلت موجودة فيها إلى اليوم. فلو تتبعنا الألفاظ العربية المنتشرة في لغات الشعوب الإسلامية لعثرنا على كثير منها، بل إن بعضها احتفظ بالخط العربي كما هو في اللغة الفارسية والأوردية. وإذا نظرنا إلى لغات أخرى نجدها بوفرة في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، إذ تضمان آلاف الكلمات العربية. وقد ألف المستشرقان انجلان ودوزي "معجم المفردات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية". كما أخذت اللغتان الفرنسية والانجليزية كثيرا من الألفاظ الاجتماعية والعلمية، وقد كتب المستشرق هنري لامانس بحثا بعنوان: "ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية"، وكتب فريديريك تايلور بحثا آخر عن الكلمات العربية في اللغة الانجليزية. إنها حقائق تدعو إلى الإعجاب والاعتزاز، فهذا عالم لغوي أوروبي هو إسرائيل ولفنسون، علّق على هذه الظاهرة في كتابة "تاريخ اللغات السامية": "**إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأة في غاية الكمال سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل مهم. فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة. ولا أدري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن**

تدخل في أدوار أو أطوار مختلفة !".

العربية تتلاحم مع الفكر

إن اللغة العربية رغم ما انتابها من ضعف فإنها لم تحرف، ولم تذبل، ولم تمح، ولم تفقد مكانتها لأنها ذات طواعية اشتقاقية ونحتية وصرفيه تمكنها من التعبير الدقيق عن الأفكار العلمية والفسلفية، فضلا عن المشاعر الوجدانية والأخيلة الفنية، ولأن الفعل والانفعال، والتأثر والتأثير بين اللغة والفكر مستمرين متلازمين، وكلاهما خاضع لسنة التطور. وهي قادرة على امتلاك المزيد من المعاني والمفردات غير المألوفة في عهودها المتوالية، فمعجمها ما زال يتوسع ليحتوي على مستجدات العصر بثوراته العلمية، وينفتح على آفاق العولمة والعالمية.

فكل لغة من اللغات، كما أكد علماء اللغة، حتى تُعمر طويلا وتواكب العصور والأجيال، لابد لها أن تحمل رسالة سامية أو تحتضن حضارة إنسانية. والعربية تتمتع بهذين الشرطين، وزيادة على ذلك فهي لغة القرآن الكريم، كتاب الله الخالد، لا يخبو نوره، ولا يأتيه الباطل، وقد قال تعالى: {**وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**} (النحل: 103). وهي أيضا لغة أرقى حضارة شهدتها البشرية وهي الحضارة الإسلامية.

أ. د. آمال لواتي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلمة مدير الجامعة أ.د السعيد دراجي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا
محمد اشرف المرسلين وخاتم النبيين
أيها الحضور و الضيوف الكرام،
يسعدني في البداية أن أحييكم وأرحب بكم باسم أسرة جامعة الأمير عبد القادر،
السيد والي ولاية قسنطينة كمال عباس،
السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية أ.د صالح بلعيد،
السيد رئيس الندوة الجهوية لجامعات الشرق، مدير جامعة قسنطينة 2 الهادي لطرش،
السيد مدير جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3 أحمد بوراس،
السيد عبد الله بوخلخال المدير السابق للجامعة،
كل مسؤولي السلطات المدنية والأمنية والعسكرية،
نواب المدير، عمداء الكليات ونواب العمداء ورؤساء الأقسام، الأمناء العامون،
الأساتذة الأفاضل والموظفون،
ممثلي وسائل الإعلام،
الطلبة والطالبات.
كل الحضور مع حفظ الألقاب والرتب والمقامات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنه شرف كبير أن تحتضن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية هذه الاحتفالية للغة الضاد، لغة القرآن الكريم بالاشتراك مع المجلس الأعلى للغة العربية لإبراز الدور الإيجابي والحقيقي للغة العربية في الحفاظ على المكونات الأساسية للهوية الوطنية إلى جانب الإسلام والأمازيغية، وفي قدرة اللغة العربية على التوفيق بين الخصوصيات الروحية واللغوية والثقافية والحضارية، وبين متطلبات العولمة.

وعليه فإن الضرورة تقتضي منا تفعيل لغتنا العربية وتحيين عطاءاتها، لأنها تواجه اليوم تحد خارجيا يتمثل في مزاحمة اللغات الأخرى لها، والغزو الفكري الوافد من الأمم الأخرى في صورة العولمة، التي تريد إزاحة ثقافات الشعوب، والقضاء تدريجيا على التنوع اللساني في العلم. وفي هذا الإطار يأتي الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد في أول مارس تطبيقا لتوصيات الألسكو .

وتتضمن هذه الاحتفالية محاضرات وقراءات شعرية يقدمها نخبة من الأساتذة والباحثين والشعراء من مختلف التخصصات العلمية كالإعلام الآلي والفيزياء والرياضيات والأدب، والتاريخ مما يدل على أن اللغة العربية هي لغة العلوم والتكنولوجيا وليست لغة الشعر فقط كما يروج لها. وعليه فإن ترقية اللغة وتطويرها لمواكبة العولمة يتوقف على عمل رجالها بالملموس وفي الميدان وليس بالكلام والعاطفة والتباهي برصيدها المعرفي.

أيها الحضور الكريم

أغتنمنا هذه المناسبة أنا وزملائي مدراء جامعات قسنطينة لتوقيع اتفاقية تعاون وتبادل علمي بين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 وجامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3 لعلها تكون فاتحة خير للم شمل كل الطاقات والكفاءات والاستفادة فيما بيننا من كل الخبرات العلمية والبيداغوجية والإدارية وحتى الهياكل والتجهيزات المادية.

في الأخير أتمنى أن تكون هذه الاحتفالية مناسبة للمختصين لإعادة تعميم استعمال اللغة العربية في كل المجالات. سيما وأننا دعونا أحد الشخصيات التي كان لها الفضل في تعريب بعض الإدارات عندما كان وزيرا للمالية والداخلية آنذاك وهو الوزير الأسبق بوعلام بن حمودة ولبى الدعوة إلا أن ظروفه الصحية لم تسمح له بالتنقل إلى قسنطينة شفاه الله.

شكرا والسلام عليكم

كلمة اللجنة العلمية

البحث في التحديات التي تواجه اللغة العربية في عصرنا الراهن، أمر في غاية الأهمية، أولا لأنها هوية أمتنا و كيانها، فهي كالوطن لا تعار و لا تستبدل، و التمسك بها واجب لا موارية فيه، و ثانيا لأنها وسيلة تواصل الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، و الحفاظ عليها هو السبيل لبقاء التلاحم فيما بينهم.

و التحديات التي تواجهها داخلية و خارجية، أما الداخلية فتتمثل في الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة، حيث نجد من أبنائها من يدعو إلى هجرها، و استبدال العاميات المحكية بها، أو مزجها بالعاميات بدعوى التسهيل و التيسير، أو الاعتماد على اللغات الأجنبية بديلا عنها، و كأن التطور لا يكون إلا بالانسلاخ عن اللغة العربية، و معلوم أن عصبة من الأمم تطورت بلغاتها الأصلية كاليابان و الصين و روسيا مثلا، لأن اللغة – في نهاية الأمر- ليست إلا وسيلة للبيان، فلا يمكن أن نحملها مسؤولية الفوضى و التدني الحضاري، الذي تعيشه الأمة العربية على أكثر من صعيد. وأما الخارجية فتتمثل في مزاحمة اللغات الأخرى لها من ناحية، و محاولات الطمس و التشويه بسبب الغزو الثقافي والتقني المهيمن. وتعلمون جميعا حضرات السادة، أن مشروع العولمة قد شق طريقه إلى التنفيذ من خلال تغيير المناهج و الأنظمة التعليمية والتكوينية و مجالات أخرى سياسية و اقتصادية و اجتماعية، تجعل العرب و لغتهم في المحك.

فأي تحد يواجه اللغة العربية في حلبة صراع نحو البقاء وإثبات الذات، في فوضى المناهج و الأفكار و ثورة المعلومات، و سوق المنافسة التكوينية ؟

ما أهمية تعزيز السياسة اللغوية على الصعيدين الجزائري و العربي ؟ و كيف السبيل إلى صد حصار و مزاحمة اللغات الأخرى ؟

متى تنفض اللغة العربية أسمال التبعية، فتصير مستقبلا -إن شاء الله- متبوعة لا تابعة، و قد أجلها الله من قبل، و جعلها مبجلة على سائر لغات العالمين، حين أنزل بها كتابه العظيم؟

وبصراحة بريئة. متى نتخلص من الاحساس بالدونية و الضآلة، ونحن نحاول أن نقدم أنفسنا بديلا معرفيا و لغويا للآخر ؟

لكن الذي نحن متأكدون منه اليوم، هو أن العرب ليس لديهم -بكل أسف- استراتيجية واضحة للتعامل مع النظام العالمي الجديد، بكل ما يحمله من تحديات، و لا يملكون القدرات المعرفية للمشاركة في وضع قواعده، و الإسهام في تطوره المتسارع. و ليس لديهم سياسة موحدة لمواجهته. و الأوكد منه، أنهم إذا أرادوا اللحاق بالنظام العالمي، لابد أن يوفروا العوامل التي أوصلت العالم المتقدم إلى ما وصل إليه من سيطرة على السياسة و الاقتصاد العالميين، و من معارف و علوم و تقنيات لا تفتأ تتطور و تتجدد في كل هنيهة، و من طرق للتفكير و مصادر للقوة، تشهد تحولات غير مسبوقة، ولعل ذلك متوقف أيضا على تطويع اللغة العربية، لمتطلبات هذا التطور و التجدد. و هي طبعا لا تحمل العجز في ذاتها، و إن ثراءها يوفر جهازا

مصطلحيا، يستطيع التفاعل مع كل مستحدث في كافة المجالات، و يواجه الاحتكاك باللغات الأخرى.

و نختم كلمتنا هذه بجزء مقتطف من خطاب للشيخ البشير الإبراهيمي يتحدث فيه عن مصير اللغة العربية و مصير أهلها يقول:

"... قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن، بترجمة علوم هذه الأمم و نظمها الاجتماعية وآدابها، فوعت الفلسفة بجميع فروعها، و الرياضيات بجميع أصنافها، و الطب و الهندسة و الآداب و الاجتماع، و هذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية، في الأمم الحاضرة و الغابرة، و هذا هو التراث العقلي المشاع، الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول، و هذا هو الجزء الضروري في الحياة، الذي إما أن تنقله إليك، فيكون قوة فيك، أو تنتقل إليه في لغة غيرك، فتكون قوة في غيرك.

و قد تفطن أسلافنا إلى هذه الحقيقة، فنقلوا العلم و لم ينتقلوا إليه... يقول المستعمرون عنا: أننا خياليون، و أننا حين نعتز بأسلافنا نعيش في الخيال، و نعتمد الماضي، و نتكل عليه، يقولون هذا عنا في معرض الاستهزاء بنا، أو في معرض النصح لنا، إنهم يريدون أن ننسى ماضينا، فنعيش بلا ماض حتى إذا استيقظنا من نومنا، أو من تنويمهم لنا، لن نجد ماضينا نبني عليه حاضرنا، فاندمجنا في حاضرهم و في كل ما يريدون، إنهم يخلدون عظماءنا في الفكر و الأدب و الفلسفة و الفن و الحرب، إنهم لا ينسون الجندي ذا الأثر، فضلا عن القائد الفاتح و هذه تماثيلهم تشهد، و هذه متاحفهم تردد الشهادة... و إنني أتخيل أن لهم – في تحريف الكثير من

أسماء أعلامنا- مأربا، يوم كانوا يأخذون العلم منا، كأنهم ألهموا يومئذ، أن الزمان سيدول، و أن دورة الفلك علينا بالسعد، ستنتهي، و أننا سنعود للأخذ عنهم، فحرفوا أسماءنا لتشتبه على أبنائنا، فلا يعرفون أن "أفيروس" هو ابن رشد، و أن "أفيسين" هو ابن سينا، و أن "جبر الطـــار" هو جبل طـارق و هكذا ينطق بها أبناؤنا اليوم، و لا يهتدون إلى أصحابها، حتى يقيض الله لهم من يكشف الحقيقة.

و من أجل إثراء هذا الموضوع واحتفاء بهذا اليوم بالمشاركة الداعمة للمجلس الأعلى للغة العربية وبحضور رئيسه وإطاراته دعونا ثلة من خيرة الأساتذة المتخصصين كل في مجاله ليسهموا معنا في حلحلة بعض جزئياته فمرحبا بهم وشكرا لهم سلفا.

د. رياض بن الشيخ الحسين

البعد اللساني والتغييري للغة العربية

د/ ذهبية بورويس
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

مقدمة:

يفكر الإنسان بلغته ، ويرسم تقاسيمها بفكره، فينتج أصواتها يصوغ بها حسه الإنساني، إنها مسؤولة عنه ومسؤول عنها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22].

«فاختلاف الألسنة سببه القرار بأوطان مختلفة متباعدة، واختلاف الألوان سببه اختلاف الجهات المسكونة من الأرض... وأنَّ ما تقدَمهُ من خلق السموات والأرض تمهيد له وإيماء إلى إنطواء أسباب الاختلاف في أسرار خلق السماوات والأرض»[1].

فاللغة إذا آية من آيات الاختلاف الكونية، وهي بذلك من ظواهره المهيئة لتوازنه واعتداله، فالألسنة «لو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولا تعطلت مصالح كثيرة»[2]، فالخصوصيات اللغوية

---

[1]-التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984،ج21، ص73.
[2]-الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، ص473.

هي التي تجلب التنوع والتكامل إلى مسالك التفكير الإنساني، فتكون هذه الخصوصيات دلائل على قدرة الله تعالى في خلق الإنسان وسعيه الذؤوب في تدبر الكون وإرادة الكشف عنه بمنطوقه وفكره ومردوده، ولا نتصور بأن هذا يتم بعيدا عن اللغة، لأنها تتحرك بتحرك الإنسان، وتحيا بأنفاسه وشعوره الدائم بها، وباجتماعه وتواصله، إنها أول مظهر من مظاهر الاستخلاف في الأرض، فهي «كون منطوق يوازي الكون بأجزائه المنظورة وغير المنظورة»[1]، فالمرء يحمل طاقته وقدرته الذهنية الموجبة والسالبة ، فيما هو مخبوء تحت لسانه وهذا اللسان مرهون بسنن التغيير المنوط بها، يستدعي دائما تكيفه مع أزمنته وطرائقه في تداول اللغة بمقدار شعوره بها.

1-خصوصية بيان اللغة العربية ووقعها القلبي والشعوري:

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (195) [الشعراء: 193-195]، حمل اللسان العربي مع مجيء الإسلام معطيات التغيير، بدءا بالبيان الذي جمعت فيه جدلية الفهم والإفهام، والإبلاغ والتبليغ، والأمر والنهي، والجزاء والوعيد، ففاقت طاقته التعبيرية وأساليبها ما كان معهودا من قبل في التواصل اللغوي بين الجماعات والعشائر والقبائل العربية؛ وكان وقع ألفاظه وعباراته المنطوية على معان جديدة تنزل على قلب الإنسان فيؤمن بلفظه دون أن يلتفت إلى أن معناه هو الذي أنعش لفظه قال الفخر الرازي في تفسير الآية« وفي هذا الوجه تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان

[1]-مختار رسائل جابر بن حيان، عني بتصحيحها ونشرها بول كرواس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1415هـ-1994م، ص 2.

قومك، تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه، ويفهمه قومك، ولو كان أعجمياً، لكان نازلا على سمعك دون قلبك، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها[1]

هيأ الله سبحانه وتعالى العرب ليؤمنوا بلغتهم وبسموها وبصفائها فأصبح هذا الإيمان جبلّة فيهم واعتقادا راسخا ومكتسبا عن بعضهم ظهر هذا فيما أبدعوه من نصوص شعرية ونثرية ارتجلوها وأنشدوها ورووها، إنها أشعارهم وخطبهم وأمثالهم وعباراتهم كانت تمثل منطلقهم ومآلهم الذي احتموا به على مدى أزمنة كثيرة وما خطر ببالهم أن ما قالوه في تلك الأزمنة سيبقى مستأنسا إلى يومنا هذا.

آمن العرب بقدرة لغتهم فصاغوا بها تجاربهم المحدودة وتجاوزت هذه القدرة مع القرآن الكريم المكان الضيق بأوصافه الجغرافية المحدودة إلى أماكن متسعة ومغايرة لما كان مألوفا أو متخيلا عندهم فاستُحضر ما لم يكن معروفا من وقائع وأحداث و أوصاف وأماكن وكان تجاوز المكان المعهود هو تجاوز الزمان المعهود فانفتحت اللغة على تآلف الإنسان مع الإنسان وعلى تكيفه مع كل مرحلة بمعطياتها وخصوصياتها ومؤدى ذلك هو بيانها، إنه لم يكن ترفاً وإنما كان تغييرا واستشرافا قال ابن فارس:« وصف الله القرآن الكريم بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان وقال جل ثناؤه﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمان: 3-4] فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه، وتفرد بإنشائه من شمس، وقمر، ونجم، وشجر، وغير ذلك من

[1]- مفاتيح الغيب، الفخر الزاري، دار الفكر، ط1، 1401هـ-1981م، مج12، ج24، ص 168.

الخلائق المحكمة و النشايا المتقنة، فلما خص[جل ثناؤه] اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه...»[1].

ويظهر أن بيان اللغة العربية تابع مباشر لخلق الإنسان فعدّه من دلائل قدرته سبحانه وتعالى خصها بهذا الوصف دون سائر اللغات الأخرى واتحد خلق الإنسان بوظيفتها فالإنسان لا ينكشف بيان لغته إلا في حالة تفكيره وتواصله وتفاعله مع غيره.

يقول مالك بن نبي عن اللغة: إنها« مرتبطة بما تهبه الأرض ببلاغتها الخاصة فطبيعة المكان والسماء والمناخ والحيوان، والنبات هذه كلها خلافة للأفكار، والصور التي تعتبر تراثا خاصا بلغة دون أخرى، وهكذا تضع الأرض طابعها على أدوات البلاغة التي يستخدمها شعب ما بما يعبر عن عبقرية، وبالتالي فإن النقد الذاتي لأي أدب يجب أن يكشف في هذا الأدب إلى حد ما عن علاقته بعناصر التربة التي ولد فيها، وكذلك فيما يتصل بتحليل الأسلوب القرآني فإن هذا التحليل يجب أن يكشف عما يربطه بالتربة العربية... وفضلا عن ذلك فإننا نجد في القرآن صورًا ذهنية كثيرة لا تتصل بسماء الجزيرة وبأرضها»[2].

لغة القرآن الكريم هي اللغة العربية التي كان للعرب سنن في توظيفها يجرونها ويتصرفون فيها بطرائقهم ووفق أغراضهم ومطالبهم الآنية هذه

---

[1]- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، لبنان، ط،1964 -1383، ص40.

[2]-الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تج: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 1969، ص 353-354.

اللغة كانت منطوقا مباشرا غير مكتوب فكان هذا المنطوق حيا غير ساكن في بيانه وتعبيره وكان صادقا مرويا غير منتحل يحمل معه الوقع والشعور والأثر والاستجابة وبدت اللغة العربية حينها وهي تنضح بالأغراض والدلالات الجديدة والمستحدثة وجها للحق والحقيقة حتى أن الجاحد والناكر لدلالاتها لم يكن بمقدوره أن يقاوم وقعها في قلبه وشعوره.

فتعبيراتها الفطرية أصبحت منقادة للتفسير والتأويل والفهم والإفهام والتخريج والتوجيه والقياس والسماع وهذا جميعه مردود إلى انشغال علماء العربية بها نحوا وصرفا وصوتا ودلالة.

2- استيعاب اللغة العربية لمبدأ الاختلاف والتعارف:

إذا كنا نؤمن بأن اللغة العربية فاقت غيرها من اللغات الأخرى باتساعها وبيانها[1] فهذا لا يعني أننا نكرس فكرة أفضليتها وخصوصيتها دون حراك أو مبادرة يبقيان على قيمتها، لأن الأفضلية تكمن فيما تتركه اللغة من أثر فاعل محسوس وملموس في حياة الإنسان، لا يمكن فصلها عنه والإنسان لا يفضل غيره إلا بمنجزه الإيجابي الذي ينسحب على الإنسانية جمعاء، فاللغة تقوى بقوة أصحابها وتنمو بنماء طموحاتهم وتستمر بأغراضهم وحاجاتهم وتتنافس باستجابتهم لها وشعورهم الدائم بها فالأفضلية اللغوية لا تستمر مع الأحكام المسبقة الجاهزة وإنما تحظى بذلك في حالة تفعيلها من حيث القيمة والمادة والتنظير والتطبيق يؤكد هذا حال اللغة العربية في أيام نشاطها وازدهارها لقد ارتبطت حينها بأغراض التكليف الموزعة على وظائف لسانية مغيرة في المجتمع مرتكزة على الدعوة والاستجابة والتبليغ والتلقي والإنذار

---

[1]- الصاحبي في فقه اللغة، ص 40.

والتبشير و الوعد والوعيد والأمر والامتثال وغيرها وهذه الأغراض التكليفية والاختيارية والتأثيرية لا يمكن أن تكون منفصلة عن جهازها المادي وحاجاتها الروحية وانشغالاتها المعرفية غير المتناهية كانت في ذلك الوقت اللغة تحقق مبدأ التعارف والعالمية بين الأمم والشعوب والثقافات تحت مظلة مركزية اللغة العربية طامحة إلى تقوى الأغراض وإنسانيتها مرهونة في كل مرة بالحذر الملازم لليقظة والمجافي للسكون والخمول والاستكانة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13]

لقد التفت الفخر الرازي إلى الحس الإنساني الذي يخول دائما للإنسان أن يسعى إلى التغيير والتواصل متجاوزا جنسه فقال عن التفاوت بين الناس والشعوب:« هو تفاوت في الحس لا في الجنس إذ كله من ذكر وأنثى فلا يبقى لذلك عند هذا اعتبار»[1].

واعتقد أن ابن جني حينما عرّف اللغة بقوله حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، كان مدركا أن الأغراض هي الباعثة للأصوات وحمولاتها التغيرية والتعبيرية تتسع بها وتتماهى كلما اتسعت هذه الأغراض كان التغيير مرتبطا بالنفس مدفوعا بها مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:11]. يقول الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى:﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمان: 4] «البيان الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق، وبه تميز الإنسان عن بقية

---

[1]-مفاتيح الغيب، مج 14، ج12، ص 137.

[2]-الخصائص ، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006، ج1، ص33.

أنواع الحيوان»[1].

فالأغراض والمقاصد متغيرة ومتجددة واللغة تكتسب بها حياتها ومركزيتها وهي بذلك تجتاح الأمكنة والأزمنة باجتياحها الفكري والعملي فتتمظهر في التنظير والابتكار والسلوك والأداء.

3-الحمولة اللسانية التغيرية ومظاهرها في اللغة العربية:

اللغة العربية متصرفة في منطوقها، ومعانيها كذلك أفعال الإنسان متصرفة في أداءاتها وغايتها، وبذلك فهي لا تختلف عن تصريف الحروف والألفاظ، فأفعال الإنسان وطبائعه تتسع بالإرادات كذلك الحروف والألفاظ تتسع بمعاني صياغتها[2].

ولأن اللغة العربية مرتبطة بمنتوج لفظي ديني مشترك في اليوم بين الناس هو نفسه عند كل العرب المسلمين، فهذا المنتوج له مرجعيته الدينية وله مخزونه التاريخي المتوارث الذي يشكل الطاقة الكامنة التي قد تذهب باللغة بعيدا وهي بهذه الطاقة قادرة على تصور المعاني الكلية والعقلية لأنها تمتلك قوانين صناعة هذه المعاني والتعبير عنها فيُنتظر من هذه الصناعة أن تتحول إلى العلم بالكيفية أي بالإجراء والعمل إذا كانت مسايرة للمنجز المعرفي والمادي الذي يمنحها الاجتياح التعبيري وهي بهذا مؤهلة أكثر من غيرها لتمثل التجديد في كل عصر لأنها في ذاتها علم ثابت محفوظ[3]، لما تركته من أثر عميق في مسيرة الأمم فهي الحدث الذي لم ينقطع لأن عراها توثقت

---

(1)-التحرير والتنوير، ج14، ص 287.

(2)-ينظر: مختار رسائل جابر بن حيان، ص 393.

(3)- الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، السيد الشرقاوي، مؤسسة المختار، ط1، 2002م، ص 52.

بقيم القرآن الكريم والحديث الشريف وهي بهذا لا تحتاج أن تقوى في ذاتها وإنما حاجتها أن يقوى أصحابها بدوافعهم النفسية وأغراضهم الحياتية وإراداتهم المعرفية.

إن علاقة الإنسان باللغة هي علاقة بين القوة والفعل فإن غابت القوة لم يقع الفعل، لأن الفعل هو الواقع الذي يترجم تلك القوة، ولذلك تعد القوة المستقبل الذي تتحقق به الأفعال ويُفعّل به الواقع والحاضر، فهي إنها تدفع إلى الانجاز فتكون اللغة بها حاضرة مدفوعة بمخزونها وموروثها، عن طريق التحيين و امتلاك إرادة التغيير بها[1].

الحمولات اللسانية في اللغة العربية:

تتوفر في اللغة العربية سنن لسانية حافظت على مرونتها واتساعها واعتدالها، وهذه السنن جرت في اللسان كما جرت السنن الأخرى في الكون، لأنها أنظمة فطرية ضبطها العقل والأداء، ولو كانت تجنح إلى بدائل أخرى غير التي أودعها الله فيها لفقدت سمتها ونظامها وثباتها المتوارث، فاللغة العربية لا يعتورها الخواء والاضطراب لحمولاتها اللسانية المتنوعة هذا التنوع الذي هندس معمارها وأحكم بنائها

1-الحمولة الفكرية المعرفية:

أحدثت اللغة العربية بمقاصدها وأغراضها القرآنية ثورة وتغييرا في المعاني المستهلكة من قبل، فأغدقت هذه الثورة عليها عطاءات وحاجات متجددة لم تكن معهودة وتهيأت للمنجز المعرفي والقيمي بحسن صياغتها للمساءلات

---

[1]-ينظر: مختار رسائل جابر بن حيان، ص7. وينظر: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، ص 63.

واستعدادها القوي للإجابة عنها كان لها ذلك لأنها« أصلح اللغات جمع معان، وإيجاز عبارة وسهولة جري على الألسن، وسرعة حفظ، وجمال وقع في الأسماع»[1].

هي لغة جامعة للمعاني لم تستهجن المستحدث منها وهي أوسع في احتوائها في كل حين فهي التي تكسب اللفظ رونقه وحيويته فإذا امتزجا كانت الدعوة إلى التفكر والتدبر والتنظير، فالعربية قادرة« على تمثل القضايا والأفكار التي احتكت بها بعد أن تمت الفتوحات الإسلامية وقد كان الاحتكاك مع تيارات متباينة، بل ومنها ما كان بطبعه معارضا لأصحاب الفكر العربي عن الموقف الفلسفي والعقدي... ولكن أصحاب اللغة العربية استطاعوا بمهارة رائعة تمثّل الكثير من ذلك الفكر وأضافوا إليه الجديد من إبداعاتهم وما كان يمكن أن تتم هذه المزاوجة المدهشة إلا بفضل الدقة التي عليها العبارات والألفاظ»[2].

لقد تحيرت العرب فيما تسمع من كلام ارتبط بالقرآن الكريم كان هذا الكلام من جنس كلامها ولكنه جاء مباينا له في حمولاته [3]، هذه الحيرة هي نفسها حيرة الوليد بن المغيرة حينما انبهر بالقرآن الكريم مع أنه لم يؤمن به ولكنه آمن بحمولاته ووقعه غير مدرك لسر انبهاره، هي حمولة اللغة العربية القرآنية التي فاقت المعتقدات والتصورات والأداءات فكانت صدمة معرفية إيجابية انطلقت من السمع واستقرت في العقل والقلب، أو هو الإيمان بالتغيير والاستعداد له في كل مرة، لتصبح اللغة الجزء الأكبر الذي وقر في

---

[1]- التحرير والتنوير، ج13، ص 187.

[2]- اللغة بين العقل والمغامرة، مصطفى مندور، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 45.

[3]-الظاهرة القرآنية، ص19.

القلب وصدقه العمل؛ وكان تصديق العمل حينها ينشعب عن إرادة الإنسان في التأسيس لعمله ليكون نظاما شاملا لا تعتوره الذاتية والفردية المجحفة، المتأثرة بمعطيات التغيير المادية والشكلية هذا التغيير الذي لا يستقر على حال معتدلة ومتوازنة.

انثبقت العلوم والمعارف مباشرة من القرآن الكريم وكانت كلها تسعى إلى كشف معانيه تفسيرا وتأويلا حركها السؤال المعرفي الإشكالي في التغيير وكانت الإجابة هي المنجز المعرفي المتواصل الذي فزع إليه العلماء، فصاغوا بهذا المنجز حضارة لم تنقطع مساءلاتها إلى يومنا هذا فكانت المنطلق والمنتهى و شرف الغاية وإنسانية الغرض، ولا يمكن لهذا المنتهى أن يتحقق دون تفعيل المنطلق ودعمه، لقد بدأ هذا الأمر إجراء وأداء فحملت الظاهرة القرآنية معها الظاهرة اللغوية بكل أجهزتها وتنظيراتها فانشعب من النظر في ألفاظ القرآن الكريم« علم اللغة، ومن إعراب ألفاظه علم النحو ومن وجوه إعرابه، علم القراءات ومن كيفية التصويت بحروفه علم مخارج الحروف، إذ أول أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت، ثم بالتقطيع يصير حرفا، ثم عند جمع الحروف يصير كلمة، ثم عند تعين بعض الحروف المجتمعة يصير لغة عربية، ثم بكيفية تقطيع الحروف يصير معربا، ثم بتعين بعض وجوه الإعراب يصير قراءة منسوبة إلى القراءات السبع، ثم إذا صار كلمة عربية صحيحة معربة، صارت دالة على معنى من المعاني، فتتقاضى للتفسير الظاهر» [1].بدأ الاشتغال بعلوم العربية وعلوم الشريعة متزامنين ، فقراءة القرآن الكريم وحفظه سبقا قوانين ضبطه، ومعايير تلاوته والنظر في

[1]-جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1979، ص18-19.

أحوال الناس وأوضاعهم والسعي إلى استنباط الحلول النفعية لهم سبق علم الأصول، وحسم الجدل والخلاف وإحداث الإئتلاف المرجعي سبق علم الكلام، وتفسير آيات القرآن وألفاظه سبق المناهج والرسوم الموضوعة لعلوم القرآن.

هذه العلوم وغيرها كانت ترتكز كلها على الأدوات اللسانية واللغوية القائمة على انتحاء طرائق العربية وتتبع أنظمتها لقد استطاعت اللغة « أن تصور ما يخطر في الفكر من معاني، وهي التي تجعل المعاني محفوظة باقية، وكذلك يقول أحد الفلاسفة: الأفكار التي لا توضع في الألفاظ كالشرارات التي لا تبرق لتموت»[1].

حمولة الاعتدال:

الاعتدال سنة من سنن الكونية التي تهيأت للموصوف بها قدرة الاستمرار والتأثير وإحداث التواصل دون أن يجور أو يُجار عليه واللغة العربية لغة فضُلت باعتدالها لفظا وعبارة ومعنى « إذ نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف وليس في اللغة كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدا على حرف واحد أو حرفين»[2].

---

[1]-دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي، مكتبة دار الفتح، دمشق، ط2 1380ه-1960م، ص12-13.

[2]- دراسات في العربية وتاريخها، ص 17.

فالثلاثي من الكلمات يكون في آلة النطق أمكن وفي اقتصاد الوقت والجهد أوفر وفي الحفظ أقدر وبذلك ينتحى به إلى المتانة والانسجام[1].

وفي الكلم كذلك اعتدال، فهو مقسم على ثلاثة أقسام(الاسم والفعل والحرف) وأي قسم رابع أو خامس أو سادس يضاف إلى الثلاثة فإنه يوقع نظام اللغة في التمحل والاضطراب، وهذا التقسيم الثلاثي للكلم معتدل ثابت استوعب خصوصية النظام الكلامي في اللغة العربية استقراءً، يقول ابن هشام: «الدليل على انحصار أنواعها في هذه الثلاثة الاستقراء، فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع، ولو كان ثَم نوع رابع لعثروا على شيء منه»[2].

الكلم كذلك في أحواله وتصرفه معتدل ولا يزيد في جريانه وتصرفه على ثلاثة أوضاع فالاسم منه متمكن أمكن وهو أكثر دورانا في الكلام، والثاني منه متمكن غير أمكن تطلبه الخفة وحسن الصوت وهو(الممنوع من الصرف) يُرد إلى أصله الأول إذا أُمن ثقل الصوت، والثالث منه هو المبني وهو االمستقر على حالة واحدة لا يتغير آخر لفظه، ولو تغيرت الألفاظ الطارئة عليه؛ ولعلنا نلاحظ هنا أن أكثر الأسماء غورا في اللغة هي المتغيرة المتصرفة وكأنّ اللغة بمسمياتها قد تهيأت لتحقق بأحوالها ومقاماتها التغيير المطلوب من دلالات الفاعلية ونيابتها، والمفعولية وأنواعها، والنسبة والتبعية وغيرها من المصطلحات التي تحمل الآثار اللغوية التي يحيا بها الإنسان فاعلا ومفعولا ومضافاً ومضافًا إليه وتابعًا ومتبوعًا.

---

[1]- دراسات في العربية وتاريخها، ص 130.

[2]- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1418هـ-1997م، ص 32.

فإذا جئنا إلى الفعل فهو ثلاثة أزمنة لا يمكن أن يزُاد عليها أو يُنقص منها لأن الزمن حقيقة لا تتغير ولا يمكن التغيير فيه إلا أن يكون مرحليا محسوبا بمردوده، وبذلك يكون الفعل هو الماضي وهو الحاضر وهو المستقبل، وكل هذه الأزمنة متحركة ونسبيتها ليست كامنة فيها وإنما مرهونة بأفعال اللغة التي تصوغ الأحداث؛ فالأفعال الناقصة هي أقل استعمالا ثم تأتي بعدها اللازمة ثم تأتي المتعدية إلى مفعول واحد وهي أكثر دورانا، ومعظم التراكيب الفعلية منها، وهي الوسطى المعتدلة بين الأفعال الناقصة والقاصرة والأفعال القوية في تعديها إلى أكثر من مفعول، وما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل أقل دورانا في الكلام لا تزيد الأفعال فيه على سبعةٍ لأنها فاقدة لحمولة الاعتدال.

أما الحروف فهي جالبة للمعاني لا تعدو أن تكون وظيفتها على ثلاثة أحوال حروف موضوعة للأسماء، وحروف موضوعة للأفعال، وحروف موضوعة لكليهما، وليس هناك قبيل آخر يضاف إلى هذا التوزيع الثلاثي، ولو كان الأمر كذلك لجنحت اللغة وانحرفت عن سنن أنظمتها واعتدالها.

كما أن حركات الاسم المعرب المتغير لا تزيد علامتها على ثلاثة ضم وفتح وكسر وحركات الفعل المتغير المعرب لا تزيد علاماتها على ثلاثة ضم وفتح وسكون هي أصول معتدلة وموضوعة للرفع والنصب والجر في الأسماء موضوعة للرفع والنصب والجزم في الأفعال وما خرج منها عن هذه الثلاثة في الأسماء والأفعال هو عارض لمطالب صوتية تؤمن معنى مقصده وغرضه وتدفع اللبس فيه.

ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الثلاثية التي استُجمعت فيها اللغة بألفاظها وأزمنة أفعالها وأقسام توزيعها وفرت للغة نواميسها النحوية والصرفية

والمعجمية والصوتية وعند استنطاق الدلالات والمعاني تتضافر جميعها لتكسبها أسرارها المطلوبة بالكشف والبحث.

الحمولة التركيبية:

اللغة العربية لغة تركيبية تحليلية اشتقاقية وليست مجموعة ألفاظ يأتي بعضها في إثر بعض وإنما هي علاقات قائمة بين هذه الألفاظ وهذه العلاقات ليست نمطا واحدا لأنها تتنوع بتنوع الأحوال والمقامات «فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[1].

فالملاءمة بين الألفاظ تنبني أساسا على رياضة ذهنية ترسم العلاقات القائمة بين أجزاء الكلم الاسم والفعل والحرف، هذه الأجزاء تتوافق بالقوة الفاعلة في النفس والأغراض هي التي تخرجها لتصبح وسيلة للكشف عن حمولة تركيبية تُفسّر بمقتضيات شتى، هذه الأحوال يستعاض بها عن حركات الإعراب التي ترتكز في غالب الأحيان على ظاهر اللفظ دون النفاذ إلى إدراك الوشائج المعنوية القائمة بين الألفاظ الناسجة للتركيب يقول ابن خلدون«... لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير، وذلك أننا نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير، وبقرائن تدل على خصوصية المقاصد، إلا أن البيان والبلاغة في اللسان المضري أكثر وأعرف لأن الألفاظ بأعيانها دالة على

---

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، شركة القدس، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر القاهرة، ط3، 1413ه-1992م، ص46.

المعاني بأعيانها ويبقى ما تقتضيه الأحوال، -ويسمى بساط الحال- محتاجا إلى ما يدل عليه، وكل معنى وإن تكتنفه أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يُدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب بحروف أو يدل عليها بالحروف غير المستقلة، ولذلك تتفاوت طبقات الكلمات في اللسان العربية بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات»[1].

فتفاوت طبقات الكلام في اللسان العربي خاصية فيه، أكسبت اللغة التنوع في التعبير عن كل الأحوال والظواهر، وهذه القدرة تجعلها بمنأى عن العجز والتهاون في صياغة المعاني بدقائقها وتفاصيلها فإذا كان المقصد الكلي المستخلص من التركيب متفقا عليه، فإن تفاصيله الجزئية قابلة ليضاف إليها في كل مرة، وهذه الإضافة غير محدودة بحكم تباين الأحوال التي تنضح بها العلاقات الحيوية القائمة بين الألفاظ، ليصير هذا المجموع قطعة كلامية واحدة حاملة تركيبا فنيا فيه معنيان أو أكثر بدلا من معنى واحد، وهذان المعنيان هما المعنى الظاهر المفسر، والمعاني الخفية المؤولة، وبهما يتحقق المجموع المتآلف المنسجم الذي يجافي النمطية والقوالب الصناعية الجاهزة. ويتحرر من المعيارية ليقع في أسر الاتساع اللغوي .

فـ«من يرجع إلى حال نفسه عند إلقاء العبارة يشعر بأنه لا يحرك بها لسانه إلاّ بعد أن يتصور معانيها المفردة، ويضم بعضها إلى بعض بروابط النسب الإسنادية أو التقييدية في ذهنه فيأخذ كل معنى من جهة التقديم والتأخير

[1]- مقدمة ابن خلدون، ط1، دار القلم ، بيروت، ص 555-556.

رتبة في النفس يستحقها بطبعه كالفاعل يخطر في البال قبل المفعول والموصوف يجري على المخيلة قبل صفته؛ وقد يعرض لبعض المعاني حال ينقله عن مرتبته الطبيعية ويعطيه في نفس المتكلم منزلة ثانية كالاهتمام بالمفعول به، يقتضي تقديمه على الفعل» [1].

فأصول التركيب النظامية منويةٌ في الذهن محفوظة بقوانين النحو وأنظمته أما الأصول النظمية في التركيب فلا تعدو أن تكون عوارض تحويلية تلخص طرائق العرب وسمتهم في إنشاء العبارة وإشرابها بيانها بعيدا عن غموض المعنى، وإلاّ كيف نفسر استهجان التقديم والتأخير في باب التوابع وباب الإضافة وباب الصلة والموصول وباب التمييز، فقد أشرت من قبل إلى أن العملية التركيبية في اللغة العربية رياضة ذهنية يمتزج فيها الذوق بالقاعدة وحيوية المعنى بالقوانين المحكمة، و هذا هو الذي أدى إلى تباين مواقف اللغويين في تفسير النصوص وتحليلها وفق الأغراض الكلامية والخصائص اللفظية والصوتية. وهذا التباين حقق للعربية طرائق النظر والتأمل والابتكار والإضافة.

لقد وصف ابن جني هذه الحمولة التركيبية فيما يخص بيان العربية وتصرفها بأنها تمثل شجاعة العربية أي اقتدار اللغة على التصرف لفظا وتركيبا، وهذا الاقتدار يمنحها الاتساع في مواجهة الأحوال المتغيرة بمرونة وطواعية، ترتسم «في تراكيبها وطرائق تأليف جملها وعباراتها من حيث التقديم والتأخير والحذف والزيادة، وهي وإن كانت خروجا عن الأصل في

[1]-دراسات في العربية وتاريخها، ص 131.

البداية، فقد أصبح جانب واسع منها يُعرف عند اللغويين والنحاة فيما بعد بسنن العربية أو سر العربية[1].

الحمولة الصوتية

حينما قال ابن جني في تعريفه اللغة: «أما حد اللغة فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[2]، ابتعد في تعريفه للغة عن التوصيف والتمثيل وأيقن أنّ اللغة لا تزيد على هذا فمنطلقها الصوت ومنتهاها الأغراض ومؤداها التعبير فإذا كان التعبير متغيرا فإن الصوت ثابت ومحسوس، وإذا كانت الأغراض غير منتهية فإن الأصوات موصوفة ومعينة ومعروفة المخارج، فالصوت هو المصدر الذي تنشأ منه اللغة أو هو المادة الخام التي تنحت رسومها «وقد حافظ العرب على طريقة النطق بها، وأعان على ذلك حفظ القرآن وتجويده وعناية القراء بالحروف ومخارجها وأخذها بالمشافهة لا بالكتابة وحدها، وهذه الميزة واردة بارزة في لغتنا، واضحة في لفظ الحروف، لا تتبدل كما تبدلت اللغة الانجليزية من قديمة إلى حديثة، وكما تبدلت اللغة الفرنسية في القرنين الأخيرين وكذلك اللغة العبرية في تبدل حروفها »[3].

تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي، سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى

---

[1]-ظاهرة الاتساع في النحو العربي، حسن محمود شبانة، دار الفتح للدراسات والنشر،.ط1، 1432هـ، 2011، ص 33. وينظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص360-441.

[2]- الخصائص، ج1، ص33.

[3]-اللغة العربية أصل اللغات وذاتيتها وتأثيرها، عبد العزيز عزت الخياط، الدار المتقدمة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2005، ص 24.

بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يُحدث التوازن والانسجام بين أصوات الحروف[1]؛ وهذه الأصوات تحمل في جوهرها مخزون الدلالات اللفظية والتركيبية حينما تتآلف رموزها لتتشكل الألفاظ بخصائصها التي تتراوح بين الصفات الثنائية مثل: الشدة والرخاوة الجهر والهمس، الانفجار والسكون، ومنها ما يكون "بين بين" مستوعبا المساحات والمسافات المتخيلة وغير المتخيلة ولعل خصوصية الصوت وحمولته الإيقاعية هو الذي أكسب اللفظ فصاحته وأكسب التركيب بلاغته.

أولى علماء اللغة العربية لأصوات الحروف عناية فائقة وفرت هذه العناية لهذه الحروف رسوما في نطقها وصياغة الألفاظ بها وأصبح المزج بينها يبتكر الدلالة الخاصة التي يحتاجها المتكلم والدليل على ذلك ما جاء به ابن جني حينما مثل للمزج الصوتي بين الحروف، وما ينتجه من أثر في المعنى فعلى سبيل المثال يقول عن تآلف الجيم والراء «ومن ذلك أيضا جَرَ الشيء يجرُه قدموا الجيم لأنه حرف شديد وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعا ثم عقبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرروها مع ذلك في نفسها، وذلك الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر، اهتز عليها على ما فيه من التعتعة والقلق، فكانت الراء لما فيه من الكرير، ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جرّ) (وجررت) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف وغيرها[2].

وهكذا نقف على حمولة صوتية قادرة على احتواء المعاني المعهودة والمستحدثة مستجيبة للحركة والسكون، فتجميع الصوت الذي انسجم في اللفظ يؤدي إلى انسجامه إيقاعا في التركيب وبه ينشأ النظم الصوتي الذي لا

---

[1]-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، دار الفكر، دمشق، ط7، 1981، ص 250.

[2]-الخصائص، ج2، ص 164.

يمكن أن يكون معزولا عن النظم التركيبي فللأصوات موازين وقياسات محتوية لكل صفات الإنسان وأحوال حياته ومطالبه وآماله وأحاسيسه تقع في نفسه موقع الحياة لأن أصوات الحروف هي الإنسان، فعلى سبيل المثال تلتبس أصوات الحروف العربية بمعانيها التي طبعت بها فأنتجت الكلمة واللفظ، فالشين مثلا إذا صوّت به في كلمة «فإنها تدل على شيء منتشر أو ينتشر أو أداة للانتشار أو فعل انتشار مثل شمس، أشعة، نشر، رش، شعلة، شرر، شعر، عشب، شدى...»[1].

فهذا الصوت أخذ معناه من طريقة لفظه أي الطريقة التي يلفظ بها داخل الفم، وهي طريقة نشر الهواء داخل الفم ويطلق هذا الحرف « على كل شيء مادي أو حسي ينتشر ويتشعب وكذلك على الأشياء التي تنشر شيئا أو تبث الانتشار مثل الشمس فهي تنشر الأشعة ومثل الشعلة هي تنشر الشرر...»[2]. فأصوات حروف العربية باعثة حياة الدلالة المعجمية في الألفاظ التي حوتها فمعظم المعاني مشتقة من طريقة لفظ الأصوات ومجموعها تصف الشيء وصفا دقيقا فيُستشعر ويُحس دون معرفة اللغة وقوانينها الموضوعة.

والتصويت بالفاء يشعرنا بدلالة الفراغ أو التفريغ وهذا الصوت مأخوذ من طريقة لفظة وهي تفريغ الهواء من الفم ومن بين الأسنان والشفة، فالنفَس والزفير والنفخ والصفير كل هذا يدل على معنى التفريغ، كذلك كلمات كثيرة تلتبس بهذا المعنى كالصرف والإنفاق والقطف والحفر

---

[1]-معاني الأحرف العربية، إياد الحصني، نشر إياد الحصني، ط1، 2006، ص 17.

[2]-المرجع نفسه، ص 14.

والفتح والرشف[1].

وهكذا أصبح كل صوت إشارة إلى معنى اللفظ الذي يحتويه وهو ما يسمى بالتشكيل الصوتي الذي يجمع الدلالة عن طريق مزج الأصوات ببعضها، يقول ابن جني: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجرون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره»[2].

فالحمولة الصوتية في اللغة العربية من أثقل الحمولات لأنها الملونة للغة الإنسان لفكره ومشاعره وأحاسيسه وهذه الحمولة تنسحب كذلك على التراكيب، فصوت حرف الواو الذي نصوغ به الألفاظ نحتاجه في الجمع والتصريف والعطف فيوفر علينا الاقتصاد والجهد لأن صوت هذا الحرف ينتج عن تدافع الهواء في الفم يوحي هذا التدافع بالبعد إلى الأمام فيتأهب هذا الحرف للجمع والإحاطة بالمعنى مرتبطا بوظائفه التشكيلية ولذلك عُدّ من أصوات الحروف التي تتشكل بها الكلمات دون أن تفقد أصول معانيها[3].

إنها التلوينات الصوتية العربية لم تكن بأنفاسها اعتباطية وإنما هي طرائق في الشعور بهذه اللغة وحمولتها الصوتية والتركيبية والجمع بينهما يؤدي إلى تدفق الإحساس والفكر والفطرة لأن اللغة العربية هي صدى الحروف في وجداننا.

---

[1]-المرجع نفسه، ص 19.

[2]-الخصائص، 2/ 157. وينظر: فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 210.

[3]-ينظر معاني الحروف العربية، ص92-95.

فالصوت أول بدايات الإحساس باللغة هو الذي ينتجها ويجعلها تحيا دوما فما بالك إذا كان هذا الصوت عربيا .

إن البعد اللساني والتغييري للغة العربية فائض وموفور وهو بهذا يجعل هذه اللغة متأهبة دوما للاستثمار والاستجابة لمتغيرات الأزمنة والمراحل، لأنها حظيت بحمولات لسانية امتزجت على مدى أزمنة بمظاهر التغيير الروحي والمادي ، فطاقاتها الصوتية المرنة والمستوعبة لإنشاء الدلالات باستحضار عملية إنشاء الألفاظ والكلمات منفتحة في ذلك على الأمكنة ومتهيئة لاستثمار الأزمنة يجعلها دائما حاضرة أو مستفزة للطاقات الإيجابية عند أصحابها، كما أن حمولاتها الفكرية والمعرفية تجعلها لا تتوانى عن الإسهام في التأسيس للمنظومات المعرفية، لأن المنجز المعرفي فيها لا يمكن أن ينتهي، وحمولتها الكونية بمرجعيتها الدينية القرآنية حققت في هذه اللغة سنن الاعتدال في الاستعمال والتغيير والابتكار، أما طاقاتها التركيبية فقد أنشأت الفكر والتأمل والحكمة بالتراكيب التي تطلب دائما الكشف والتحليل، أما طاقاتها الشعورية والقلبية فهي ذلك التدفق الفكري في حياتها حافظت به على سننها فأقامت بذلك موازينها واعتدالها وهي تتأهب دوما، للتغيير وتحقيق الأغراض التي كانت وما زالت منوطة بها لأنها تمتلك خاصية البيان وصفة الكونية والقيم الإنسانية.

تجديد العربية كتاب (نظرية اللغة العربية) أنموذجا

أ.د. يوسف وغليسي

كلية الآداب واللغات

جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة

ربيعٌ لغويّ عربيٌّ مَريع يصنعه الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض (الرئيس الأسبق للمجلس الأعلى للغة العربية) في كتابه (نظرية اللغة العربية) [1]، لكنّه ربيع علميّ بحتٌ، منزوع الأهداف السياسية والإيديولوجية، بل هو مجرّد ثورة لغوية عارمة ضدّ بعض الأنظمة والأبنية النحوية البالية التي تنتظم اللغة العربية، وتأسيس جديد لأبنية أخرى على أنقاضها.

غزل لغوي :

وعبد الملك مرتاض أثناء ثورته اللغوية وقبلها وبعدها، هو عاشق الضاد المفتون بلغته التي خصّها، منذ ثلاثين سنة، بمقالة غزلية رهيبة تنضح شِركا لغويا طيّبا جميلا؛ عنوانُها "كما أحبّ الله أحبُّ العربية"...[2]!

نقرأها فنتذكر قولةَ العالم العاشق اللغوي القديم أبي الريحان البيروني (ت.440 هـ) الذي انتصر للسانه العربي على حساب أرومته الفارسية حين قال :"والله لأن أُهجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية"!.

---

[1] عبد الملك مرتاض : نظرية اللغة العربية-تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، الجزائر، د.ت.

[2] جريدة (المساء)، الجزائر، عدد 265، 30 مارس 1987، ص 08.

ونقرأ (نظرية اللغة العربية)، فنستذكر حتما كتاب (في النحو العربي-نقد وتوجيه) [1] للدكتور مهدي المخزومي (ت. 1993) الذي سبق له أن أشعل الثورة النحوية الكبرى عام 1964.

هي المرة الأولى التي يدوّن فيها الدكتور عبد الملك مرتاض خلافاته اللغوية الجذرية مع النحويين العرب قدمائهم ومحدثيهم، ويصدرها في كتاب مستقل، بعدما كانت تلك الخلافات ملحوظاتٍ جزئية متفرقة في سائر كتاباته.

لعلّها أن تكون أجلى وأعنف في معركته اللغوية التاريخية مع العلاّمة الدكتور إبراهيم السامرائي [2] الذي أراد أن ينصب له شرَكا لغويا، فوقع فيه، وانقلب السحر على الساحر!.

وهي خلافات لا تُفسد للودّ اللغوي قضية، بدليل استهلاله لكتابه المذكور بمقدمة غزلية ساحرة تكشف حبّه الأزلي المتجذّر العميق للعربية؛ فقد أقسم -خلالها- بـ"حقّ دارةِ جُلجُلٍ وما حواها، وعذارى دَوار وما جلاّها، لَلعربيةُ سيدة اللّغاتِ منزلةً وجَاهًا"، و"لَلعربية، رُبَّهَا لغةً، ما أبدعها وأحلاها، وأوسعها وأعلاها، وأكمَلها وأرقاها، وأسهلَها وأغناها (...)

---

[1] مهدي المخزومي : في النحو العربي-نقد وتوجيه، ط1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1964.

[2] نشر الدكتور السامرائي مقالته (من فتنة المعاصرة)، في مجلة "المنهل" السعودية (المجلد 55، العدد 511، ديسمبر 1993-جانفي 1994، ص ص 64- 73)، وكانت في عمومها نقدا لغويا لكتاب مرتاض (بنية الخطاب الشعري)، فردّ مرتاض على مقالته بمقالة أعنف منها تقع في 25 صفحة، نشرها بعنوان (هل الحداثة فتنة؟) في حلقتين اثنتين من (المنهل) :
الحلقة الأولى : المجلد 56، العدد 516، جوان 1994، ص ص 129-139.
الحلقة الثانية : المجلد 56، العدد 517، جويلية 1994، ص ص 114- 129.

فليس للعربية إلا أن تُفاخر بما حُبيت به وتتباهى، وترتئد بين اللُّغى في المقامات ولا تخشاها، فواها للعربية ثمّ واها!" [1].

وهي "أكبر لغات الكون إطلاقا، وأوسعُها دلالة في الدلالات، وأدقّها معانيَ في المعاني، وأكثرها أبنية في المباني، وأغناها تخاريج لدى المعالجة، وأوسعُها تفاريق لدى التفهّم، ولذلك يتجاسر ويتكابر من يدّعي أنّه قادرٌ على معرفتها معرفةً دقيقة بمن فيهم، منْ نراهم من أكابر أئمتها" [2].

من هذا المدخل التقديسي، يدخل مرتاض أنحاءَ العربية ثائرا وناقدا ومجدّدا، عسى أن يكون هذا الحبّ كله شفيعا له في أيّ شطط محتمل.

وما كان عبد الملك مرتاض بِدْعا من شيوخ العربية الأشاوس في حرصهم على تجديد دماء العربية ومحاولة تخليصها ممّا يتهدّدها من أسباب التخثّر والتجلّط؛ فهذا الدكتور مازن المبارك، على سبيل التمثيل، وبعد عمرٍ طويل من دراسة النحو وتدريسه بشتى الطرائق والمناهج، يطلع علينا بمقالته الثائرة (تعليم النحو)، وقد هاجه منهج تدريس النحو لدى المعاصرين الذين اختزلوا النحو في الإعراب، وهو أعمّ وأشمل (لو كانوا يدركون)، وانتحوا (بنحوهم)، نواحي نائية عن النصوص الأدبية وعن اللغة الحية وعن لغة الحياة نفسها، فراح ينعى عليهم تدريس النحو بمعزلٍ عن سائر علوم العربية المتكاملة من نحو وصرف وإملاء وبلاغة وفقه اللغة، وما جاورها من المعارف التي يُعين بعضها بعضا، مقترحا "أن نخفّف ما أمكننا من الأمور النظرية وأن نزيد من أحكام الربط بين النحو وأحكامه والمعاني ومتطلباتها، وأن نوقف الطلاب على أثر اختلاف مواضع الألفاظ في الجمل والتراكيب

[1] نظرية اللغة العربية، ص 05.

[2] نفسه، ص 06.

في اختلاف المعاني"[1]، وأن نستغني "ما أمكن عن التفصيلات الجزئية، والشاذ والنادر وكل ما لا يُفيد في توظيف النحو لخدمة اللغة"[2]، وألاّ "نرسّخ في أذهان الطلاب الأمثلة النادرة، والشواهد الشاذة، والآراء المفردة الغريبة، وكم يخطئ المعلم الذي يعرض عضلاته أمام طلابه بذكر الغريب والمعقّد والآراء المتباينة للمدارس النحوية المختلفة، أو يعرض لهم شيئا من الألغاز النحوية ومسائلها... إنّه لا يجوز أن يبتعد النحو عن اللغة الحية البسيطة، بل يجب أن يكون معيار التعليم هو ما نستطيع أن ننقله بيُسر وإفهام لا ماذا نعرف؟..."[3]. أو بمعنى آخر : ينبغي أن نكرّس تدريس النحو لإتقان اللغة وفهم نصوصها، لا لتعليم قواعد لا مجال لاستخدامها في مجتمعاتنا اللغوية.

لا للمرجعية النحوية الأحادية :

منذ البدء، يرفض مرتاض تأسيس النحو العربي على كتاب سيبويه، كما يفعل جمهور اللغويين العرب، ويراه أعظم وأعقد من أن يؤسّس على رجل واحد؛ وإن سبقه رجالات ولحقوه دون أن يبلغوا شأوَه وشهرتَه، ولا أن يؤسس على كتاب واحد، حتى لو كان هو (الكتاب)! .

لقد ظلّ سيبويه "المرجع الأعلى للنحو العربي"[4]، وإن لم يكن يحلم بذلك، لأنّ كتابه –فيما يبدو– قائم على ما حصّله من دروس أستاذه الخليل بن

---

[1] مازن المبارك : تعليم النحو، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 85، الجزء 4، تشرين الأول 2010، ص 968.

[2] نفسه، ص 973.

[3] نفسه، ص 974.

[4] نظرية اللغة العربية، ص 07.

أحمد الذي يعدّه مرتاض "أستاذ العربية الأول، وهو إمام النحاة الحقيقي"[1]، بل هو "أنحى نحاة الأمة على الإطلاق (...) يضاف إليه يونس بن حبيب، وأبو عمرو بن العلاء، ورعيل من رواة الشعر والعربية الأوائل أمثال الأصمعي، والكسائي، وابن الأعرابي، وأبي عبيد، والمبرّد"[2].

يقرّر ذلك دون أن يقصد إلى المفاضلة بين العلماء أو التمييز بين أهل البصرة وأهل الكوفة، وقد قال بمثل قوله بعضُ أجدادنا حين قرروا أن "سيبويه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل"[3].

لكن (مرتاض) يحتجّ لذلك بأنّ سيبويه قد طلب النحو كبيرا، بعد أنْ كان يطلب الحديث، بملازمةٍ متأخرة للخليل ويونس، لم يكن يتغيّا من ورائها – أبدا– التنظير لعلمٍ، بل كان قصاراه منها الانتقام لقلة حظه من النحو، بعد الغبن النفسي الذي ألمّ به خلال مسألة "ليس أبا الدرداء" في الحديث المشهور، والتي نطقها على الرفع لا على النصب؛ ظانّا مجيئَها اسمًا لـ(ليس) التي من أخوات (كان)، ولم يدر في خلَده أن (ليس) يمكن أيضا أن تكون أداة للاستثناء!.

---

[1] نفسه، ص 73.

[2] نفسه، ص 73.

[3] السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1987، ج02، ص 405.

ولعلّ ذلك موصول –مـرّة أخـرى– بالمسـألة الزنبوريـة*؛ حيـث تحـالف الكوفيون ضدّ سيبويه وتكالبوا عليه، فخطّؤوه بغـير حـق، إمعانـا في تبكيتـه وتحقيره والتقليل من ألمعيته وعالميته، وما كانت جهـوده النحويـة الجليلـة إلاّ ردّا لاعتبار نفسي افتقده في ذينك الموقعيْن العلنيّين، وقـد "حمَّـل نُحـاة الأمّـة الرجلَ حِملاً ينوء بأثقاله وحده، في حين لم يكن هو، في حقيقة أمـره، وفيمـا نهض به من جهد عظيم، إلاّ متأملا مؤسّسا، لا مقعّدا للعربية ولها منظّرا"[1].

التأنيث هو الأصل :

خلافا لما أجمع عليه جمهور الدارسين العرب، قدمائهم ومحدثيهم، الذين اتفقوا على أنّ التذكير هو الأصل اللغوي؛ فـ"للمذكر الغلبة والفضل، على ما يفتي به الفقه النحوي"[2]، و"تذكير المؤنث واسعٌ جدّا، لأنه ردّ فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب"[3]، و"تذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر، لأنّ التذكير أصل، والتأنيث فرع"[4]، خلافا لذلك

* لمراجعة تفاصيل المسألة الزنبورية بين الكسائي وسيبويه، ينظر :
(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د.ت، ج02، ص 224.

[1] نظرية اللغة العربية، ص 06.

[2] يسرى مقدم : الحريم اللغوي، شركة المطبوعات، بيروت، 2010، ص 45.

[3] ابن جني : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج02، ص 415.

[4] الكفوي: الكليات، إعداد عدنان درويش ومحمد المصـري، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، ط2، 1998، ص 820.

كله تسعى نظرية عبد الملك مرتاض الجديدة إلى "البرهنة على أنّ الأصل في العربية هو التأنيث"[1]، وأنّ "لغتنا أنثى صُراح"[2].

لتأكيد هذا الافتراض الإشكالي، الذي يصعبُ ترسيخه!، يخصّص القسم الأول من كتابه لـ (أنثوية النحو العربي)، ويفصّله إلى ثلاثة عشر فصلا كاملا (بعضُها ليس منه، بل ينأى نسبيا عن جوهره المركزي)، يستهلّها بفصل أوّل يدلّ عنوانه على مبتغاه دلالة قاطعة (نظرية الأنثوية في نظام العربية- جُعلت العربية أنثى!) ثمّ يعود في القسم الثالث من كتابه (الفصل الثاني خصوصا) ليحلّل نصوصا دالة على عبقرية النظام اللغوي العربي (من الأمثال العربية القديمة)، تعيد اللغة إلى منبتها في حِضن المرأة العربية.

من أمارات أنوثة العربية، في نظر مرتاض، أنّها "اللغة الوحيدة –أو من القليلات حتى لا نقطع بالحكم- التي تؤنّث الـمثنى الدال على امرأتين"[3]، وأنّها تعطي الـمرأة حقها اللغوي فتتساوى مع الرجل أمام قاعدة العدد والمعدود؛ حيث تؤنث القاعدةُ العددَ للمعدود المذكر، وتذكّره للمعدود الـمؤنث في الأعداد المفردة من 3 إلى 9.

وحين يعوج على علامات التأنيث، يستعين بالفرّاء الذي أحصى خمس عشرة علامة للتأنيث (في الأسماء والأفعال والأدوات)، ويتوقّف -مطوّلا- عند (تاء المبالغة)؛ حيث يلاحظ أنّ "العربية تبالغ في ميلها للمرأة فتراها تطلق

---

[1] نظرية اللغة العربية، ص 55.

[2] نفسه، ص 17.

[3] نفسه، ص 17- 18.

أبنيةً بعينها على الرجل وهي مؤنثة، كقولهم علاّمة، وفهّامة، وتِلعابةٌ، وتِمزاحة،... وما جاء على بناء (فُعَلَة) أيضا مثل (هُمزة، لمزة)..."[1].

لا يتفق مرتاض مع النحويين في تسميتهم هذه التاء (الهاء) تاء المبالغة، لأنّ ذلك "شأنٌ ليس له معنى كبير"[2]، ولأنّ المبالغة كاملة أصلا في صيغتها المذكرة (فعّال)، لذلك يفضّل المصطلح الذي ينفرد به الخليل بن أحمد (هاء المبالغة والتفخيم)، مقتصرا على جزئه الثاني (هاء التفخيم)؛ حيث "الشرف اللغوي كله لهذه الهاء الخالصة للمرأة، فكأنّ العرب حين تريد تفخيم المعنى وتعظيمَه والرفع من قيمته وقدْره، تعمد إلى التماس تاء التأنيث فتجعلها زينة له، وتاجا على آخر لفظه"[3].

كما يقف على (تاء التمييز) التي تميّز الشيء الواحد من جنسه (ثمرة، تفاحة، نملة،...)، فيراها "تاء تأنيث صريحة"[4]، و(تاء العِوَض)، التي تلحق الأسماء التي افترض النُحاة أن الحذف قد وقع في أوّلها (كالواو المفقودة في "زنة" التي أصلها المزعوم هو "وزن")، إذ يستشعر "في لفظة العدة شعرية عَرَتْها بفضل وقوعها تحت سلطة التأنيث فزانتها"[5].

ومثل ذلك ما يلاحظه على التاء التي تلحق بعض الأبنية الدالة على الصفات (ركوبة، حلوبة، ركبانة، حلبانة،...)، وتاء التأنيث التي تلحق

---

[1] نفسه، ص 19.
[2] نفسه، ص 19.
[3] نفسه، ص 22.
[4] نفسه، ص 50 (الهامش 4).
[5] نفسه، ص 51.

المصادر (غلَبة من غَلب، سرقة من سَرق،...) وهي تاء نادرة الحظ من الدرس النحوي.

وحين يريد تعميم التذكير والتأنيث على سائر اللغات، يلاحظ أنّ منها لغات مذكّرة (كالفرنسية)، ومنها ما لا يحمل جنْسا بعينه (كالإنجليزية)، أمّا اللغات المؤنثة فنادرة جدا، ومنها الإسبانية التي يعيد علّة تأنيثها إلى "عشرتها الطويلة مع العربية في الأندلس، وإلى تأثرها الشديد بها"[1].

لا للاعتباطية الدلالية في اللغة العربية :

خلافا لنظرية دوسوسير التي تربط طبيعة العلامة اللغوية بمبدأ "اعتباطية العلامة"[2]؛ حيث تصطلح اللغة على علامة تربط صورة صوتية (دال) بتصوّر معيّن (مدلول)، في غياب أسباب محدّدة تبرّر ذلك الاصطلاح، بدليل أن التصوّر نفسه تتعدّد صوره الصوتية وتختلف من لغة إلى أخرى (ومثال "الشجرة" وتسمياتها المختلفة في شتى اللغات ذائع مشهور).

يقرّ عبد الملك مرتاض بأنّ ذلك "حقٌّ. غير أنّا نحن لا نريد إلى هذه الاعتباطية المنطقية في مسمّيات اللغات حين تختلف؛ ولكنّا نريد إلى أن اللغة العربية، خصوصا، حين تطلق اسمًا على معنى فهي تراعي فيه علاقته بالطبيعة والمنطق والوضع، ولا نجد أيّ لفظ اعتباطيٍّ، وذلك فيما تابعناه من سيرة خصائصها الصوتية وعلاقتها بالدلالة العميقة، فهي في كثير من

---

[1] نفسه، ص 17.

[2] فردينان ده سوسر : محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص 89.

أطوارها تراعي العلاقة الصوتية بالعلاقة الدلالية لكيما يتطابق الصوت مع مضمونه"[1].

ويستشهد على ذلك بالشجرة في العربية (وهي التي ضربها دوسوسير مثلا لدلالتها الاعتباطية)؛ حيث لاحظ[2] أنّ التشجّر في الاشتقاق العربي يدلّ على التشابك والتداخل والانتشار، ومنه الشِّجار بين العوام، واشتجار الأصابع، ومَشاجر مراكب النساء، وقد سمّي الشجر شجرا لدخول بعض أغصانه في بعض.

ثمّ يستعرض أمثلة أخرى تؤول جميعُها إلى "مطابقة المعنى لأصوات الحروف المكوّنة منها اللفظةُ"[3].

دعوة إلى تخليص العربية من الترف النحوي :

يعتقد مرتاض أنّ القواعد النحوية المركزية التي تضبط الاستعمال اللغوي لا تزيد "عن عشرين قاعدة مركزية على أكثر تقدير"[4]، وكلّ ما سواها لا يعدو أن يكون ترفًا من النحْو، ولغوا من القول، أو فضلات لغوية عقّدت النحو تعقيدا ونفّرت طُلاّبه تنفيرا.

من هذا المنطلق، فإنّ طُلاّب النحو (أو حتى أساتذة الجامعات!)، ليسوا بحاجة إلى تعلّم صيغة (أفعل به) للتعجّب، ولا (التنازع في العمل)، ولا (الاشتغال)، ولا تعلّق الجار والمجرور، ولا حتى الندبة والاستغاثة، ولا

---

[1] نظرية اللغة العربية، ص 94.

[2] نفسه، ص 95.

[3] نفسه، ص 95.

[4] نفسه، ص 09.

الحكاية، تعلُّما أساسيا؛ فهي -وغيرها- من الأبواب النحوية المترَفة التي فُرضت على المتعلّمين فنفّرتهم من الاستمتاع بجمال العربية الصافية الناضرة.

وكذلك كثير من المضْمرات والمقدّرات بالحذف التي "لا تنهض على منطق ولا على عقل ولا على قاعدة صارمة، ولكنّها قراءات نحوية اجتهادية متعسّفة..."[1].

وقد خصّص الفصل الثامن من قسم الكتاب الأول لتشنيع سلوك النحاة في التأسيس لنظرية التقدير والإضمار، حيث انتهى إلى أنّهم من منطلق عدم إدراكهم أنّ للقرآن أو الشعر نحوا يختلف عن نحوهم، راحوا يعسّرون النحو، فجعلوه "للخاصة من العلماء، أي : جعلوه خالصا لهم يتعالون في معرفته على بعضهم بعضٍ أيّهمْ يكون أكثر تحذلقا وتمحّلا أيضا، وذلك بابتكار المقدّرات والمضمرات لما يُشكِل ويَشذُّ من الكلام..."[2].

تخليص النحو من (فضَلاته)! :

استقرّ لدى جمهور النحويين أنّ كلّ جزء أصيل من الجملة، لا يستقيم بناؤها بدونه، ولا يتمّ معناها إلاّ به، هو (عُمدَةٌ)؛ كالمبتدأ، أو الخبر، أو الفاعل، أو نائب الفاعل،...

---

[1] نفسه، ص 08.

[2] نفسه،ص 98.

وأنّ كل ما يمكن أن ينعقد الكلام بدونه، دون أن يتهدّم المبنى أو يختلّ جوهر المعنى، هو (فضْلَة)؛ كالمفعولات والحال والاختصاص والتمييز...، فالفَضْلة -باختصار- هي "كل لفظ معناه غير أساسي في جملته"[1].

وقد أتى على النحو حينٌ من الدهر، صارت المنصوبات فيه (المفاعيل، الحال، الاستثناء، التمييز،...) فضَلات؛ يُستغنى عنها في تمام الجملة، ولكنها لا يُستغنى عنها أبدا في دراسة نحو الجملة، وهي مفارقة عجيبة لعلها أن تكون أعجب في كتاب الأستاذيْن الصّديقين ناصر لوحيشي وذهبية بورويس (المنصوبات الفضلة والمجرورات في العربية) [2]، ويبدو أنّهما قد ضاقا بالدلالة العامية للجمع المألوف (فضَلات)![*]، وتحرّجا، فعمدا إلى تلك الحيلة الوصفية!.

لكن ما يمكن استشفافه من الكتاب هو استحالة اعتقادهما بأنّ تلك المنصوبات هي فضلات (وإن لم يصرّحا بذلك)، والدليل أنّهما يخصّانها – دون أشهر الأبواب/ العُمَدِ النحوية- بالدراسة، بل يجعلانها عنوانا/ عُمدة لكتابٍ في النحو!

ومثل هذا التّلجْلُجِ في الموقف النحوي من الفضلات، يمكن أن نقف عليه لدى مشاهير النحاة المحدثين، ومنهم صاحب (النحو الوافي) الذي رأيناه

---

[1] عباس حسن : النحو الوافي، ج02، ص 179.

[2] ناصر لوحيشي، ذهبية بورويس : المنصوبات الفضلة والمجرورات في العربية، مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2003.

[*] تجمع (فَضْلة) على : فضلاتٍ وفِضال، من باب مجيئها على وزن (فَعْلَة) : الاسم المفتوح الفاء، الصحيح العين (فَعَلات : عبرات، سكرات، عشرات،...) ويمكن أن نتكلف لها جمعًا آخر (فَضْلات) بوصفها صفة مؤنثة (فعْلة : فعْلات، ضخمة : ضخْمات).

يعقد بابا مقتضبا لـ(حذف المفعول به)، قاده إلى القول : "بالرغم من أنّ المفعول به فضلة، فقد تشتدّ الحاجة إليه أحيانا؛ فلا يمكن الاستغناء عنه في بعض المواضع"[1]!.

لكن عبد الملك مرتاض، النحوي الثائر، يصرّح –دون تردد– بموقفه الرافض، متسائلا : كيف نعدّ "المفاعيل، والحال، والتمييز، والاستثناء، والتحذير، والإغراء، والاختصاص، والمنادى، فضلات، مثلهنّ مثل الندبة والاستغاثة والترخيم... وإنّا لا ندري ماذا بقيَ في نحو العربية لا يطلقون عليه (فَضَلات)؟ وكيف يمكن عدُّ المفاعيل فضلات مثلها مثل قاعدة الترخيم التي لم تكن إلا ضربا من عبث الأعراب في محاوراتهم في مفازات البادية؟ فالمفعول حين يتطلّبه الفعلُ الواقع يكون ضروريا لفهم الكلام، ولا يجوز عدّه من الفَضلات، أي : من الزوائد التي لا حاجة إليها في نسج الكلام، بل هي مكمّلات للجملة، بل هي أساسيات فيها، لا يتمّ فهم الجملة المفيدة إلاّ بها"[2].

يُفهم من موقفه هذا، أنّه يفاضل بين الفضلات؛ فيؤكّد بعضها كالترخيم والندبة والاستغاثة، وينفي بعضها كالمفعولات التي لا يمكن –في رأيه– أن يُستغنى عنها، لذلك نراه يخصُّها بوقفة مستقلة، في سياق حديث آخر يدعم مركزيتها في الكلام.

تختلف المفعولات عند عبد الملك مرتاض، عنها عند غيره، في كمّها وبعض كيفها؛ فهي ستّة لا خمسة، بل سبعة كما يقرّر في أحد المواضع :

---

[1] النحو الوافي : 2/ 178.

[2] نظرية اللغة العربية، ص 10.

"...المفعول بأنواعه السبعة، لا الستّة"[1]، لأنّه حين يعود إلى ما سمّاه (نظرية المفاعيل في النحو)[2]، يذكر الأنواع الخمسة المعروفة لدى جمهور أهل النحو، ثمّ يزيد عليها نوعًا سادسا لم تُعْنَ به كتب النحو، هو (المفعول عليه)[3]، الذي استقاه من الأزهري في (تهذيب اللغة)، وقد مثّل له بـ: علوتُ السطحَ، ورقيتُ الدرجةَ، ثمّ يُغريه هذا النوع من المفاعيل بتأسيس نوعٍ جديد يسميه (المفعول تحته)[4]،ويمثل له بقوله : "افترشتُ الأرضَ"، لأنّنا حين ندقّق الاستعمال يبدو لنا هذا القولُ غيرَ فولنا : "قرأتُ الكتابَ" أو "فهمتُ المسألةَ".

ثمّ يؤوب إلى أكثر المفعولات ورودًا واستعمالا في العربية، وهو (المفعول به)، فيتوقف عند تسميته ملاحِظا أنّ "قيد (به) لا يعني كبيرَ شيء، ولا يدلّ على الوظيفة القائم بها، فكان من الأولى أن نطلق عليه مصطلح (المفعول المطلق)، بحكم أنّه يدلّ على مطلق المعنى وأكثره انتشارا في الاستعمال، في حين نطلق على (المفعول المطلق) التقليدي : (مفعول التوكيد)؛ لأنه يأتي لتوكيد الكلام وترسيخه في ذهن المتلقي"[5].

أمّا (المفعول معه)، فيقترح إعادة تسميته "(مفعول التساوي)، أو (مفعول الاستواء). ذلك بأنّ معنى المفعول يستوي مع معنى فاعله"[6]. وأمّا (المفعول

---

[1] نظرية اللغة العربية، ص 08.

[2] نفسه، ص 467.

[3] نفسه، ص 468.

[4] نفسه، 469.

[5] نفسه، ص 467.

[6] نفسه، ص 468.

المطلق)، الذي كان الأزهري يسميه (المفعول بلا صلة)، وهو "أسهل المفاعيل"[1]، عند مرتاض، فقد سبق أن اقترح تسميتَه (مفعول التوكيد).

ثورة على نظام المجرد والمزيد :

يشكّك مرتاض [2] في سلامة المذهب اللغوي الذي يجعل أصل الكلام كله ثلاثي الحروف (أو رباعيّها في حالات قليلة أخرى)، ثمّ يجعل ما زاد على ذلك طارئا على الأصل، فيثور ثورة عارمة على حروف الزيادة تلك (سألتمونيها)، متعجّبا كيف يكون أكثر من ثلث الحروف العربية زائدا! وكيف نعدّ بعض حروف الكلمة زائدة ودلالاتها لا تعني شيئا، ثمّ نزعم – في الوقت ذاته– أنّ الحرف الزائد دالّ على معنى ما!

يرى، كذلك، أنّ هذا المذهب يعسّر البحث المعجمي عن كلمة لا نعرف معناها، مثلما يصعّب البحث عن الأصلي والزائد في الكلمات الطويلة؛ ككلمة (مستشزرات) في بيت امرئ القيس الشهير، وكيف للغاتٍ أخرى (كالألمانية) أن تتضمن ألفاظا يزيد عدد حروفها على العشرين، ولا تقول بزيادة فيها، بينما يستكثر نحاتنا "أن يكون في ألفاظ العربية بضعة أحرف مزجاة!" [3] ؟!ثمّ يثني على أنظمة نحوية للغات أخرى تكتفي بجعل الفعل لازما أو متعدّيا، وتحكم ترتيب الأفعال والأسماء بتقنية السوابق واللواحق.

مقترحا –في الأخير– نظام (الأبنية الصغيرة) و (الأبنية الكبيرة) [4] بديلا لنظام المجرد والمزيد.

---

[1] نفسه، ص 468.

[2] نظرية اللغة العربية، ص 11. وينظر خصوصا الفصل الخامس من القسم الأول.

[3] نفسه، ص 78.

[4] نفسه، ص 75.

ولعلّ هذه المراجعة في حدّ ذاتها أن تذكّرنا بثورة أحمد بن فارس (ت.395 هـ) القديمة في فقه العربية، حين ذهب (في حركة معاكسة تماما لما يريده اليوم مرتاض) إلى أنّ "الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت"[1].

ثورة على نظام الجملة التقليدي :

يثور مرتاض ثورة عارمة على بعض الأنظمة النحوية التقليدية التي يصفها بأنّها "مغالِطة مُعْتسفة"[2]، رادًّا مغالطتها إلى سبب جوهري هو فصل النظرية النحوية عن نظرية البلاغة والأسلوبية، اللتين ما ينبغي أن يفصل بينهما.

ويخصّ بالذكر النظرية التي تعدّ الفاعل المتقدّم مبتدأً خبره جملة فعلية يتكرّر فاعلها مرتين اثنتين : إحداهما ظاهرا والأخرى مستترا! فكيف يكون الفاعل ضميرا في فعله لمجرّد أنّه تقدّم فعله؟ وهل في مقدور عاقل أن يتصوّر أنّ جملة (الولد دخل) = (الولد دخل + الولد)؟!

كما يعوج على باب أفعال المطاوعة، فيتقرح مصطلح (الفاعل الذاتي)[3] للخروج من إشكال الفاعل الذي يغتدي مفعولا لدى النحويين، في مثل قولنا : (انفتحتِ النافذة).

---

[1] أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق وتقديم : مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، 1964، ص 271.

[2] نظرية اللغة العربية، ص 10.

[3] نفسه، ص 10.

وفي الأخير، يوجز تبسيط نظرية الجملة ومنطقتَها، بإعادة بنائها على خمسة مرتكزات [1]:

1. كلّ جملة مؤلفة من اسمين متتابعين (مبتدأ وخبر) هي جملة اسمية، لخلوّها من الفعل.

2. كل جملة مصدّرة بفعل بعده اسمٌ، هي جملة فعلية، بحكم طبيعتها.

3. كل جملة مصدّرة باسم بعده فعل، هي جملة فعلية، لأنّ الاسم لا يعمل في الفعل، وإنّما الفعل هو الذي يعمل في الاسم؛ فالفعل –تقدّم أو تأخّر– هو وحده الفاعل ولا فاعل سواه.

4. كلّ جملة مبتدأة بظرف، فهي ظرفية لا اسمية؛ لأنّ الظرف هو المقصود من مبتدأ الكلام. وهنا يخالف النحويين الذين يعدّون (الجملة الظرفية) و (الجملة الجرّية) شبه جملة في محل رفع على أنّها مبتدأ، بل يرفض حتى مصطلح (شبه الجملة)؛ لأنّ الكلام إمّا أن يكون جملة وإمّا ألا يكون!

5. كلّ جملة تبتدئ بحرف يجرّ ما بعده، يتلوها اسمٌ، يسميها (جملة حرفيّة)! ، لأنّ الحرف –في تقديره– لفظ كامل الوظيفة الدلالية والنحوية والتركيبية، وليس مجرد تابع لغيره في الكلام.!

وإذا كانت المرتكزان الأول والثاني مألوفين معروفين لا جدال فيهما، فإنّ المرتكزات الباقية لا تخلو من وجاهة وإشكالية في آن، أمّا المرتكز الثالث (وإن كان المرحوم مهدي المخزومي قد سبقه إلى الدفاع عنه منذ أكثر من نصف قرن) فإنّه يظلّ في غاية الحصافة المنطقية.

---

[1] نفسه، ص ص 114- 127.

إنكار الترادف والتضاد :

هذا باب إشكالي قديم من الأبواب الدلالية العربية التي ظلّ اللغويون فيها مختلفين، لكن عبد الملك مرتاض لا يتردّد في الانضمام "إلى العلماء الذين لا يقولون بوجود المترادف في اللغة" [1]، محتجّا بما احتجّ به السابقون الذين رأوا جلّ تلك (المترادفات) أوصافا لشيء واحد، وأنّها "كلها معانٍ متقاربة لا متواردة، باصطلاح السيوطي، ومتشابهة لا متماثلة؛ إذ كلّ منها يدلّ على بعض ما يدلّ عليه صنوه، ولكن ليس على كلّ ما يدلّ عليه تدقيقا وتحديدا" [2].

فهو يؤمن بأنّ الترادف "لا يوجد في العربية إلاّ بالتجاوز والتسامح" [3] وآيته على ذلك هي الاختلافات الدلالية الناجمة عن اختلاف أبنية المصادر الكثيرة لفعل واحد، فضلا عن اختلاف الأفعال الدالة على معان متقاربة.

ومثل ذلك رأيه في التضاد أو "مسألة الضدية"، كما يسميها؛ فهي "من المتناقض المنطقي الذي لا يجوز تصوّره بأيّ وجه من الوجوه" [4].

والأمثلة التي يتمثل بها المؤمنون بالتضاد لا معنى لها في نظر مرتاض، إلا على سبيل الاستعارة التهكّمية وغايات بلاغية أخرى.

---

[1] نفسه، ص 148.

[2] نفسه، ص 146.

[3] نفسه، ص 164.

[4] نفسه، ص 165.

تحرير القواعد اللغوية من شواهدها الغثة :

يرى مرتاض أنّ ممّا أساء إلى العربية في تأسيساتها النحوية أنّها تستغني في شواهدها النحوية عن النصوص الأدبية العربية العالية، وتجتزئ بجملٍ مكرّرة ركيكة، لا تُعلِّم حكمة ولا تحصّل معرفة "بحيث لا يعلق منها الناشئة إلاّ العُجمة والفهاهة"[1]؛ كمثل قولهم : جاء الذي في الدار أبوه، وزيد عندك أخوه، ومررت بزيد عليه جُبّة، وضرب زيدٌ عمرًا،...

وكان لا بدّ أن تعاد العربية إلى نصوصها الأدبية الجميلة [*]....

تخليص المؤلفات القاموسية من عاهاتها المعجمية :

يقرّر مرتاض أنّ "العربية، في العهد الراهن، لا معاجم لها، فهي تتطوّر بمعزل عنها، وكأنّها يتيمة في اليتيمات"[2]، ومن مظاهر هذا اليتم المعجمي، أنّ معاجمها (معجماتها) لا تساير تطور استعمال العربية في مجتمعها اللغوي، بحيث يصعب العثور -خصوصا- على المفردات الجديدة ذات الدلالات الاصطلاحية في شتى الحقول المعرفية، ضمن معاجمها التي "تجترّ استعمالات معاجم الأجداد الذين غبروا منذ قرون موغلة في الطول"[3]، خلافا للمعاجم

---

[1] نفسه، ص 12.

[*] ظل الدكتور مرتاض حريصا على هذه الطريقة التعليمية منذ انشغاله بالتدريس الابتدائي والثانوي خلال ستينيات القرن الماضي، وكان ثمرة هذا الحرص كتابه المجهول (العربية بالنصوص) الذي أخبرني أنّه بصدد نشره بعد تأخّر طويل...!

[2] نفسه، ص 195.

[3] نفسه، ص 195.

الأجنبية التي يُعاد طبعُها كل سنة، فتتجدّد بإزالة ما مات من كلماتها وإضافة ما ولد منها.

يتأسّف مرتاض لحالِ معاجمنا التي كأنّما جُعلت "للعلماء لا للمتعلّمين"[1]، حتى إنّك حين تبحث عن معنى من المعاني تصدَم بعبارة : معروف! ، وحين يبحث المتعلم الصغير عن اسم خماسي أو سداسي أو أكثر، فإنّ "عليه أن يكون عالما بالصرف، فيجرّد ذلك الاسم، أوّلُ، من زوائده المزعومة ، ثمّ يبحَثُ في ثُلاثِه في المعجم المظنون"[2].

مرّة أخرى يثور على فلسفة المجرد والمزيد، انطلاقا من الصعوبة التي يكابدها الطالب في تجريد المزيد، قبل البحث عن معناه، معترفًا -بجرأة كبيرة- أنّ "هذه العاهة في المعجمية العربية من أكثر الأسباب مركزية في تخلف العربية، وضعف استعمالها بين المتعلّمين"[3].

لذلك يحلم مرتاض بتحقّق تأليف معجمي مثالي، ينهض به مجْمع لغوي قوميّ جامع، يتجاوز العاهات المعجمية السابقة، وينجَز بطريقة حديثة تقوم على أوائل الكلمات (كما في كل المعاجم الإنسانية المعاصرة)، لا على مركزية المادة اللغوية باعتبار المجرد والمزيد، مع مراعاة الشّكل وتعميمه على الألفاظ للتخلص من اللّحْن والاختلاف، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

---

[1] نفسه، ص 196.

[2] نفسه، ص 197.

[3] نفسه، ص 197-198.

تخليص الاستعمالات اللغوية من أخطائها الشائعة :

يخصّص مرتاض قسطا ليس باليسير من كتابه [1] هذا للأخطاء الشائعة التي تتهدّد الاستعمال اللغوي العربي السليم، مع تركيز خاص على نوع من "الاستعمالات الخاطئة التي أصبحت كالصواب" [2].

ومع ملاحظة أنّ الاستعمالات التي يصوّبها، أو الأخطاء التي يصحّحها هي ليست من الأخطاء التي تشيع في كتب (الأخطاء الشائعة) أو (قل ولا تقل)، بل إنّه يحرص على أن يكون من أوائل المنبّهين عليها، كي لا يكرّر هنا ما قاله الآخرون هناك؛ ومن تلك الأخطاء :

- العنوسة : وصوابُها (العُنوس)
- التعاسة : وصوابُها (التعْس)
- الرّتابة : وصوابُها (الرتوب)
- الشساعة : وصوابُها (الشسوع)
- الضحالة : وصوابُها (الضحْل)
- طاله : والصواب (طاوَلهُ)
- العذابات : وصوابها (الأعذبة)
- الكَيَان : وصوابه (الكِيان)
- أراض (جمع أرض) : وصوابُها (أرَضون)
- أبهر : وصوابه (بَهر)
- أربك : وصوابه (رَبَك)

---

[1] ينظر –خصوصا– الفصل الثاني من القسم الثاني الموسوم (تقويم اللسان).

[2] نظرية اللغة العربية، ص 226.

- احتار : وصوابه (حَار)
- النقاهة : وصوابها (النَّقهُ)
- عن كثب : والصواب (من كثب)

وغير هذه الأخطاء، ممّا صوّب، كثير.وكذلك خصّص حيّزا طريفا من كتابه لـ (أمثلة من الاستعمالات الفصيحة، ويَعيبُها المتحذلقون) [1]...

خاتمة

أخيرا، هكذا يريد العلاّمة عبد الملك مرتاض للعربية أن تتجدّد، وأن تثور على القيود اللغوية البالية التي تستبدّ بها (أو كذلك يراها)، وقد نسج لها خارطة طريق ثورية شاملة تمسّ المستويات المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية، مقدّما تأسيسات وبدائل جديدة للأنظمة اللغوية التي عارضها وثار عليها، لكنّها مقترحات إشكالية قد يلزمها وقت طويل للحِجاج والإقناع فضلا عن الترسيخ والترسيم.وعلينا أن نقبلها في سياق النقد اللغوي الذاتي، على طريق دعوات التيسير وصيحات التجديد التي نادى بها بعض المحدثين (مصطفى إبراهيم، شوقي ضيف، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مازن المبارك،...) الذين تمحورت مشاريعهم التجديدية حول توسيع الدرس النحوي وإخراجه من دائرة الإعراب إلى دائرة المعنى، وربطه بالمعارف المجاورة، وتجاوز الأمثلة والشواهد الجزئية المحنطة إلى النصوص اللغوية والأدبية الجميلة، وتخليص النحو من العوامل والجزئيات التفصيلية الشاذة، وإعادة النظر في كثير من المسلّمات النحوية...

[1] نفسه، ص 289.

تحديات تعريب العلوم في الجزائر

أ.د. جمال ميموني

قسم الفيزياء، جامعة منتوري، LPMPS،

قسنطينة

مقدمة:

خاضت الجزائر بعد استرجاع سيادتها الوطنية معركة استرجاع الهوية الوطنية، وعلى وجه الخصوص استرداد اللغة العربية مكانتها الطبيعية؛ إلا أن وجود نواة لإدارة جزائرية مفرنسة مع ضرورة استمرارية العمل الإداري آنذاك، جعل التعريب في العشرية الأولى بعد الاستقلال يؤجل مما عقّد بشكل كبير عملية التعريب لاحقا.

سنناقش في هذا المقال إشكالية التعريب بعد الاستقلال ثم رهانات تعريب العلوم وضرورته من أجل تحصين اللغة العربية نفسها. وبعد مراجعة سريعة لحالة تعريب العلوم في العالم العربي، سنتطرق لمسيرته في الجزائر مرورا بحالة تجميده لثلاثة عقود من الزمن إلى تقهقر مستمر له حاليا في معظم الجامعات الجزائرية. وفي الأخير سنقدم الشروط الضرورية التي ينبغي توفيرها من أجل إعادة بعث عملية تعريب العلوم. على الرغم من أن الأمر يبدو مستصعبا في الظروف الراهنة، إلا أننا سنعرض ما سميناها "استراتجية الحد الأدنى" التي هي دون شك أقل طموحا من أهداف الثمانينات، إلا أنها أكثر واقعية.

1ـ إشكالية التعريب بعد الاستقلال

- فرنسة الإدارة الجزائرية بعد الاستقلال وعواقبها

هناك حقيقة ناصعة لا يمكن فهم الواقع اللغوي الراهن دون أن نستوعبها، ألا وهي أن فرنسة الإدارة الجزائرية تمت بعد الاستقلال وليس أثناء الحقبة الاستعمارية، إذ لم يوجد أصلا إدارة جزائرية أثناء فترة الاستعمار سوى عدد محدود من موظفين جزائريين ذوي رتب متواضعة. ففي إطار "التعاون التقني" مع فرنسا، تم تدريب طبقة من المواطنين على الآليات الإدارية الفرنسية، فكانت بمثابة تعميم استعمال اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية في كل الوزارات الجزائرية ومنها وزارات السيادة، الأمر الذي أدى إلى تعميق المشكلة اللغوية لاحقا. فمن الناحية الثقافية يمكن القول دون تردد أن تعميم استعمال الفرنسية في الحقبة الأولى من الاستقلال يمثل نجاحا ثقافيا بل استراتيجيا منقطع النظير لفرنسا الذي لم تستطع هذه الأخيرة تحقيقه خلال الفترة الاستعمارية [1]. صحيح أن الجزائر كانت في نفس الفترة تتعامل مع الدول العربية في إطار تعاون ثقافي وتربوي، إذ استقبلت بعثات عديدة من مصر سوريا والعراق خاصة، ولكن كانت العملية منحصرة أساسا في

[1] يعترف اللغوي الفرنسي جلبار غرانغ غيوم سياسة فرنسا بشأن المستقبل اللغوي الجزائري وعواقبها بعد الاستقلال :

"Un corps de fonctionnaires relativement important avait été mis en place par la France durant la guerre de libération dans l'espoir de fonder sur lui une troisième force. Cet espoir fut déçu à cette période, mais ce recrutement initial à constitué le cadre déterminant auquel sont venus s'intégrer de milliers d'autres fonctionnaires à la suite... elle est l'héritière de l'administration coloniale et ne travaille qu'en français, d'autre part en raison de sa formation, elle ignore la langue arabe dans sa majorité." G.Grandguillaume: "Arabisation et politiques linguistiques au Maghreb", 1983, Editions Maisonneuve et Larose, 1983

التعليم و ليس في الإدارة، إذ أنه كان للإدارة وحتى الجيش لغة تعامل واحدة وهي اللغة الفرنسية.

- مسيرة التعريب

بدأت عملية التعريب تدريجيا في الستينات ولكن الجزء الكبير كان في السبعينيات ضمن ما سمي بالثورة الثقافية، وذلك بعد أن تمت جزأرة الإدارة، فمست على الترتيب القضاء (جوان 1966)،الإدارة (البوادر الأولى في أفريل 1968) والتعليم الأساسي (1974) ثم الثانوي ثم أخيرا التعليم العالي (في الثمانينات أساسا) ابتداء من العلوم الاجتماعية والانسانية، وكانت قادرة أن تتوج بتعريب العلوم.

تميزت عملية التعريب بصراع ايديولوجي حاد بين تيارين متخاصمين، وهما تيار استغرابي فرانكفوني [1] يعتبر اللغة الوطنية هي اللغة الدارجة، واللغة الفصيحة (L'arabe moderne) هي عنده بمثابة لغة اصطناعية وغريبة على الشعب الجزائري؛ أما اللغة الفرنسية فهي إرث تاريخي ينبغي الاستفادة منه خاصة بما له من القدرة على التسريع في الالتحاق بالموكب الحضاري. أما التيار الآخر الوطني [2] فيضفي الشرعية على اللغة العربية

[1] على الرغم من أن التعبير قد يبدو ازدرائي بالنسبة للاستقطاب الراهن للساحة السياسية والفكرية، إلا أنه من الصعب إيجاد عبارة أخرى مناسبة نظرا لدعوتهم إلى تمكين اللغة الفرنسية على حساب العربية. على الرغم من ذلك فلا أحد له الحق أن ينزع منهم وطنيتهم كما يفعل من يصفهم بالطابور الخامس، وهذا غير مقبول على الإطلاق.

[2] يمكن تسميته بشكل أقل انحيازا بتيار الأصالة على الرغم من أن خصومه يلقبونه بتيار الرجعية أو أحيانا بالتيار البعثي.

فقط، معتبرا الفرنسية لغة أجنبية فرضت على الشعب الجزائري ولابد من التخلص من هيمنتها.

تياران وطنيان في احتدام

يمكن حصر هذا الصراع بتعيين الشخصيات البارزة لكل من التيارين: فمن جانب التيار الفرانكفوني نذكر كاتب ياسين ومصطفى الأشرف، ومن الجانب الآخر نذكر عبد الله شريط [1] و أ.طالب الإبراهيمي. وقد تمحور الاختلاف على مكانة اللغة الفرنسية، فهل كانت "غنيمة حرب" حسب العبارة الشهيرة لكاتب ياسين [2] ينبغي الاستفادة منها، أم لغة دخيلة زحزحت مكانة اللغة العربية باغتياظ بفضل سياسة الاستعمار؟

---

[1] نظرية حول سياسة التعليم و التعريب، عبد الله شريط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1984.

[2] أما الهاشمي شريف منسق الحزب الشيوعي PAGS، فيعتبر الفرنسة "إحدى فتوحاتنا".

« …le Français qu'il faut considérer comme une de nos conquêtes »

- هناك مواقف أخرى من غلاة من نفس الاتجاه، فمثلا اللغوي عبدو الإيمان الذى كتب كثيرا في مجال التعريب في الصحف الوطنية من "منطلق أكاديمي" كما يزعم، يرى في عملية التعريب مؤامرة وانتقام من كفاءات الناطقين بالفرنسية لا غير:

"On veut jeter à la mer un Algérien bien placé. On veut brader notre pays.... On veut boucher notre horizon. C'est criminel." Abdou Elimane, Algérie-Actualités, 30 juillet 1992

– ويرى لغوي آخر من نفس التيار محمد الأخضر موغل في التعريب "استراتيجية استعمارية جديدة لزعزعة الاستقرار":

"Une politique linguistique totalitaire et exclusive... une stratégie néocoloniale de déstabilisation", Mohamed-Lakhdar Maougal, El Watan, 29 octobre 1992

– أما النائبة خليدة مسعودي فصرحت في تدخل بمجلس النواب: "إن قانون تعميم اللغة العربية ليست سوى عنصر من استراتيجية لخنق أي توجه ديمقراطي":

"La loi portant généralisation de la langue arabe n'est qu'un élément dans la stratégie visant à étouffer toute velléité démocratique." El Watan, 19 mai 1998

كما ذكرنا سالفا، إن فرنسة الإدارة الجزائرية كانت من نصيب الجزائر المستقلة وبمال الجزائر، فبدلا من أن تكون الفرنسية غنيمة حرب، يبدو أنها كانت بمثابة الوديعة الملغمة التي جعلت الصراع اللغوي في الجزائر يتواصل إلى يومنا هذا. لا يخفى على أحد أنه على الرغم من مرور أربعين سنة من إكمال التعريب الرسمي للإدارة، إلا أنه مازالت إلى يومنا هذا تشتغل بشكل شبه كلي بالفرنسة وهي مطالبة فقط من الناحية القانونية أن تتعامل مع المواطنين باللغة الرسمية [1].

كان كاتب ياسين يمثل الجانب العاطفي للتيار الفرانكفوني، وكأديب يكتب بالفرنسية لم يستطيع تجاوز حدوده، فكما صرح به في استجواب عندما سئل حول سبب عدم رغبته في تعلم اللغة العربية أجاب بأنها حدود طوعية فرضها على نفسه:

« Ce sont des limites volontaires: Je ne veux pas connaitre l'arabe classique ».

لا شك أن مصطفى الأشرف الذي هو من نفس التيار والذي تقلد منصب وزير التربية الوطنية لفترة ما، عالج القضية في كتابه "الجزائر دولة ومجتمع" [2] من الناحية الثقافية، إلا أنه لم يخل من انحياز إيديولوجي صريح. ولكن في اعتقادي، التنظير لصالح الأطروحة الفرانكفونية جاء بشكل

[1] وحتى هذا القسط الأدنى من الالتزام لا يتم العمل به في كثير من الأحيان، إذ من مكتب البريد إلى الوكالات التجارية المختلفة حكومية كانت أو خاصة، يتم التعامل مع الزبائن بوثائق كلها بالفرنسية.

[2] *L'*Algérie*:* nation et société, *Mustapha Lacheref,* Alger, *SNED, 1978*

مكتمل في مؤلفات اللغوي الفرنسي غرانغ غيوم [1] وخاصة في كتابه المرجعي "التعريب والسياسات اللغوية في المغرب العربي" أين يقول في العديد من الأحيان ما لا يجرؤ الآخرين بالتصريح به، فيبدأ بإضفاء شرعية للغة الفرنسية على أساس أنها "تعجن الواقع اللغوي المغربي وتوجهه نحو انفتاح لمجتمع آخر" قاصدا هنا المجتمع الغربي. ثم يؤصل الثنائية اللغوية بالشكل الذي أصبح فيما بعد الأطروحة الرئيسية للتيار الفرانكفوني، وهي أن هناك لغتين على الساحة اللغوية المغاربية، اللغة العامية كلغة وطنية، ولغة الثقافة والكتابة التي إما أن تكون "العربية المعاصرة" أو الفرنسية وهما لغتين دخيلتين على الشعب الجزائري. إلا أنه لا يترك مجالا للشك فيما يخص أي من اللغتين ينبغي اختيارها كلغة الرسمية عندما يصف عملية التعريب السارية المفعول آنذاك بأنها "مهدِّدة" ومطبقة انتقاميا، بل أنها بمثابة "حصان طروادة للإسلاميين" [2].

في نهاية المطاف، موازين القوى كانت في صالح التيار الوطني المناد للتعريب فمشى التعريب على قدم وساق ولكن بمستوى إنجاز فعلي متفاوت. بعد تأخيرات مختلفة، جاء في جانفي 1991 إصدار من طرف البرلمان لقانون تعميم استعمال اللغة العربية الذي يقضي على الازدواجية اللغوية في الإدارات وكان ليتوج مسيرة التعريب منذ الاستقلال. ولكن لم يتم العمل به بذريعة أحداث تلك الفترة، ثم جمد في 1992 مع إعادة اعتباره في ديسمبر 1996 على أساس تطبيق فعلي في 5 جويلية 1998. في

[1] G.Grandguillaume: "Arabisation et politiques linguistiques au Maghreb", 1983, Editions Maisonneuve et Larose, 1983

[2] « L'arabisation, cheval de Troie de l'Islamisme » المرجع السابق

آخر المطاف، جمد العمل به عام 1999 مرة أخرى بدون إعلان صريح، بل يبدو أن لا أحد يعرف حاليا حالة لهذا القانون من حيث تطبيقيته ميدانيا.

2ـ أهمية تعريب العلوم وفوائده

لا قوامة ولا حصانة للغة العربية دون تعريب العلوم، ذلك لأن اللغة التي ينحصر استعمالها للشعر والأخبار الوطنية والحملات الانتخابية وقضايا اجتماعية أخرى، معرضة للزوال [1]. وهذا ما فهمته جيدا دول العالم المتحضر مثل اليابان، الصين، كوريا وتركيا، بل حتى الدول الصغيرة في أوروبا مثل المجر، سلوفاكيا، رومانيا وبلغاريا، إذ يدرسون العلوم بلغتهم على مستوى الجامعي في الطورين [2].

- سياسة إسرائيل في المجال اللغوي:

إسرائيل، ذلك الكيان الذي يقهر الشعب الفلسطيني والذي حطم رقما قياسيا في انتهاكات حقوق الانسان، تحتل مكانة مرموقة في ميدان العلوم، إذ أن انتاجها العلمي يفوق الإنتاج العلمي لكل الدول العربية مجتمعة! معجزة أخرى، هي أنها أحيت لغتها العبرية التي كانت منذ آلاف السنين ميتة والتي على خلاف العربية لم تستعمل حتى خلال عصرها الذهبي عندما كان علماؤها يستعملون اللغة العربية مثلما كان الأمر في الأندلس، وذهبت أبعد من هذا، فبالإضافة إلى تدريس العلوم بالعبرية على كل المستويات وحتى في

[1] الاشهار أصبح بالفرنسية أو العامية، وواجهات المحلات معظمها بالفرنسية، والإدارة ما عدا الحالة المدنية والعدالة، تتعامل مع المواطن بالنسبة للوثائق المختلفة بالفرنسية. كل هذا في ظل قوانين صارمة تقر بإجبارية تعريب الوسط العام وواجهات المحلات وكذا إجبارية التعامل مع المواطن باللغة العربية.

[2] Quelles langues pour la science? B.Cassen, La Découverte, 1990

الجامعة، فقد فرضت مناقشة رسائل الدكتوراه في العلوم باللغة العبرية فقط دون استثناء [1]. في حين أنه ما زلنا نسمع عندنا آهات البعض عندما نتكلم عن تعريب العلوم، فيتحججون باستحالة الأمر [2].

بالفعل، إن سياسة إسرائيل اللغوية تتميز بالثقة بالنفس والرغبة في إنشاء Homo Hebraicus على خلاف طموحات الكثير من الدول العربية التي ترغب على ما يبدو في القضاء على Homo Arabicus المغلوب حضاريا، ليذوب في الحضارة الغربية أو العالمية.

- أهمية التعريب قوميا واستراتيجيا

من الناحية الحضارية، اللغة هي الركيزة الأساسية في بناء الهوية الوطنية. ألم يقل ألبرت كامو بشأن اللغة الفرنسية أنها وطنه؟ "Ma patrie, c'est la langue française". عموما، هناك حقيقة ناصعة ينبغي الاعتراف بها: لا يمكن أن توصف جامعة بأنها وطنية إذا كانت تدرس بغير اللغة الوطنية، فهي مطابقة بسيطة تبنتها كل الدول المتحضرة. أما من الناحية الاستراتيجية،

[1] «Mes collègues universitaires étrangers sont surpris lorsque je leur raconte que j'enseigne la mécanique des fluides en hébreu. Mes collègues du Technion (Institut de technologie à Haïfa) enseignent en hébreu les mathématiques supérieures, l'aéronautique, les sciences nucléaires, etc. La renaissance de l'hébreu, considéré souvent comme une langue morte ou fossile, analogue au latin de l'Eglise, tient du miracle. Nous sommes témoins de la renaissance d'autres langues nationales telles que l'arabe, le hindi ou l'irlandais, mais ces langues étaient restées des langues vivantes, tandis que l'hébreu avait cessé d'être parlé depuis plus de 2000 ans...» Meta, XLIII, 1, 1998, S.Irmay.

[2] لا يقصد أن تعريب العلوم يستلزم تعريب البحث العلمي إذ البحث العلمي يتم عالميا بالإنكليزية أساسا، فالعملية أعقد وغير مطروحة حاليا.

فاستعمال لغة وطنية واحدة كلغة أكاديمية تعمل على التماسك الوطني، كما أنها ستساهم في الاندماج المغاربي بالنسبة لدول المغرب العربي.

- منافع تعريب العلوم

تخفيف نسبة الرسوب الجامعي

لا شك أن استعمال كلغة تدريس جامعي لغة لا يتحكم فيها الطالب الذي أنهى دراسته الثانوية باللغة العربية بصفة كلية هو السبب المباشر في النسبة العالية للرسوب بالجذع المشترك علوم في بلادنا. اعترف بكل صراحة وواقعية وزير التعليم العالي آنذاك الموحوم جيلالي اليابس بهذا الواقع المؤلم [1]:

"نستقبل كل سنة العشرات الآلاف من حاملي شهادة البكالوريا حيث لغتهم الرئيسية للتعليم هي اللغة العربية. معظم هؤلاء الطلاب غير قادرين عمليا من اتباع دروس ذات مستوى عالي في اللغة الفرنسية ... هذه حقيقة ناصعة في منتهى البسيطة."

غير أن لا أحد في يومنا هذا يبالي بهذه الكارثة البيداغوجية. قمنا في بداية تطبيق نظام LMD بدراسة إحصائية على مستوى السنة الأولى الجذع المشترك علوم والتكنولوجيا وعلوم المادة بجامعة منتوري أين تُدرَّس المواد العلمية بالعربية مقارنة مع ما نشر من احصائيات الرسوب بجامعة باب

[1] "Nous recevons chaque année des dizaines de milliers de bacheliers dont la langue d'enseignement principal est l'arabe. La plupart de ces étudiants sont pratiquement incapables de suivre un cours de haut niveau en langue française... C'est une équation qui est tout à fait simple". Djilali Liabès, Algérie Actualités, 19-25 Septembre 1991

الزوار بالعاصمة أين يتم التدريس باللغة الفرنسية، فكانت النتيجة كالآتي: باب الزوار 65% من الرسوب في السنة الأولى، أما جامعة منتوري فكانت النسبة 45%.

تنوير وعقلنة المجتمع

هناك حجة أخرى لصالح تعريب العلوم: إذا كانت اطروحة التيار الفرانكفوني بشأن الحفاظ على الفرنسية يعتمد على دورها في إيقاظ المجتمع وترقيته حضاريا، لكان من الأجدر بهم أن يدافعوا عن تعريب العلوم الذي بواسطته يمكن تلقين المجتمع قسطا من "العقلانية الضائعة" ومكافحة الخرافات المنتشرة فيه. فتدريس العلوم بالفرنسية يسد الباب أمام عملية تبسيط العلوم للجمهور العام وتنويره الذي لا يمكن أن تتم إلا بلغة يُتحكم فيها. ونرى هذا جليا عندما يسعى أحيانا رجل علم أحادي اللغة (ولو بارعا) مخاطبة الجمهور بل حتى تلاميذ باللغة التي يعرفها وهي الفرنسية، ينفر وينزعج معظم المستمعين وفي آخر المطاف لا يستطيع توصيل رسالته[1].

3ـ مسيرة تعريب العلوم

- حالة تعريب العلوم في الدول العربية:

إذا تم تعريب العلوم على المستوى الثانوي في معظم البلدان العربية، فإن تعريب العلوم في الطور الجامعي قد تم بصفة متفاوتة، فباستثناء سوريا والعراق التي عربت كل الفروع العلمية منذ أمد بعيد، لم تقم معظم البلدان الأخرى بتعريبها. فمثلا تدرس دول الخليج، لبنان والأردن بلغة أجنبية

[1] Quelle Langue pour la Diffusion de la Culture Scientifique en Algérie ? J.Mimouni, Le Quotidien d'Oran, 4&5 décembre 2001;

(عموما الانجليزية)، أما مصر والسودان تدرس في كثير من الأحيان بمزيج من العربية والانجليزية والعامية [1]، أما في المغرب العربي - ما عدا الجزائر التي بدأت في تعريب العلوم في الطور الجامعي- ما زال المغرب وتونس يدرسون العلوم بالفرنسية.

- أما تعريب العلوم في الجزائر

بعد استكمال تعريب الطور الثانوي، شرعت الجزائر في مواصلة التعريب على المستوى الجامعي دون توقف قصد تعريب كل فروع العلوم، باستثناء فرع الطب الذي كان سيعالج لاحقا حسب المسؤولين نظرا لخصوصيته. كانت العملية تتم بإدراج سنة جديدة كل عام مثلما حدث بالنسبة لتعريب التعليم الثانوي. لم يكن هناك معارضة ملموسة في أوساط الأساتذة [2]، إذ كانت العملية تعتبر طبيعية ضمن بناء جامعة وطنية بل من عزم الأمور. من جهة أخرى، كانت العملية محل ترحيب من قبل الطلبة الذين زاولوا كل دراساتهم السابقة بالعربية وكانوا قلقين من الكارثة أو "المذبحة" كما يسمونها

[1] فيصعب على طالب من أصل مغاربي خاصة أن يفقه درسا في مادة علمية تلقن بالجامعات المصرية إلا بعد فترة معتبرة من التكيف والانغماس اللغوي عكس ما يحدث بالجامعات السورية أو العراقية.

[2] ما عدا معارضة صامتة خاصة من الذين زاولوا دراستهم ومنها الطور الابتدائي بالفرنسية. من جهة أخرى، فإن تنفيذ خطة التعريب كان محل مماطلة من طرف بعض الجامعات وعلى وجه الخصوص جامعة باب الزوار، كما كان يوجد أيضا معارضة دفينة غير معلنة من طرف بعض الأوساط السياسية.

التي كان تنتظرهم عند الانتقال إلى الطور الجامعي [1]. فشرعية التعريب لم تكن محلا للنقاش، لكن مشكلة التعريب كانت مشكلة تقنية، وأقصى ما كان يطلبه الاساتذة آنذاك هو تنقيص الحجم الساعي للدروس (من أجل الاستفادة من تربصات في دول عربية للتدرب على التدريس باللغة العربية)، وتوفير الكتب المنهجية باللغة العربية في المكتبات. لندرك أن قضية تعريب العلوم في الجامعات كانت قاب قوسين من الإنهاء نذكر هنا تقييم وزير التعليم العالي الجيلالي اليابس في سبتمر 1991 [2]:

"أومن أنه ينبغي التكلم بلغة الحقيقة، إن تعريب السنة الأولى علوم وتكنولوجيا قد تمت منذ ثلاث سنوات وقد زرت الجامعات أين الجذع المشترك معرب تماما. وتفكر جامعة العلوم والتكنولوجيا بوهران USTO تعريب السنة الثالثة في كل التخصصات، أما جامعات الغرب فتدرس باللغة العربية منذ ثلاث إلى أربع سنوات، يبقى وجوب تكثيف الجهود اتجاه الجامعات التي لم تعرب كليا السنة الأولى...."

---

[1] فعلا، فإن نسبة الرسوب بالجامعات الجزائرية بسبب الانقطاع بين المرحلة الثانوية والجامعية مرتفعة ويأثمان باهظة، وكم من تلاميذ كانوا متفوقين في دراساتهم الثانوية، رسبوا في السنة الأولى من الجامعة.

[2] « Je crois qu'il faut parler le langage de la vérité. L'arabisation de la 1er année de S&T est prise en charge depuis trois ans. J'ai visité des Universités ou le Tronc Commun est entièrement arabisé. L'USTO songe à arabiser la 3ième année et les spécialités. Les Universités de l'Est enseignent en langue arabe depuis 3 à 4 ans. L'effort doit donc porter sur les Universités qui n'ont pas intégralement arabisées la première année…. ». Djilali Liabès, Algérie Actualités, 19-25 Septembre 1991

كانت عملية التعريب موجهة بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي حسب توجيهات اللجنة الوطنية للتعريب المنبثقة من قرارات حزب جبهة التحرير الوطني. أما على المستوى المحلي، فقد أنشئت مكاتب التعريب في كل الجامعات التي كانت تتابع وتنسق مع الإدارة المركزية للجامعة وأقسام الكليات المختلفة. الجدير بالذكر أنه في سياق عملية التعريب، ظهرت حركة حثيثة للترجمة وتم انتاج وثائق بيداغوجية على مستوى ديوان المطبوعات الجامعية (OPU) كان يقوم بها الأساتذة المتمكنون مع تشجيع مادي ملموس للمؤلفين، فغرقت السوق بمطبوعات مرافقة للدروس (Polycopiés) إلا أنها كانت متفاوتة في المستوى. بالموازاة مع ذلك، تم استيراد العديد من أمهات الكتب المترجمة إلى اللغة العربية [1].

تراجع التعريب والانفصام اللغوي للجامعات:

في أعقاب أحداث التسعينيات، تم تجميد فعلي لمسيرة التعريب، كما تم غلق مكاتب التعريب وترك اختيار لغة التدريس للمجالس العلمية للجامعات أو للأساتذة أنفسهم، فتم إلغاء الكثير من الأقسام المعربة (بدعوة توحيد مناهج التدريس) بجامعات الوسط، مما أحدث انفصاما لغويا ما زال ظاهرا في وقتنا هذا، فهناك جامعات تدرس بالفرنسية وأخرى بالعربية في الطور الأول، وعلى وجه الخصوص جامعات الوسط والغرب التي تدرس بالفرنسية وبالمقابل جامعات الشرق والجنوب التي تدرس بالعربية على الأقل

[1] نذكر على وجه الخصوص مجموعة الكتب العلمية المترجمة من دار النشر الشهير McGraw-Hill Egypt التي بفضلها وضعت في أيدي الطلبة أحسن الكتب الموجودة في الجامعات الأمريكية والتي لم تكن متوفرة بالفرنسية. ففي الفيزياء مثلا نذكر السلسلات الشهيرة المترجمة بدقة وتصفيف عال الجودة: Feynman's series, Alonzo & Finn, Berkeley series...

في المرحلة الأولى للتدرج. والجدير بالذكر أن إدخال نظام LMD قضى على كثير من الأقسام المعربة.

4. تحديات أمام إعادة بعث تعريب العلوم

إن استرجاع ديناميكا تعريب العلوم والدفاع عنه أصبح مرهونا في اعتقادي بتوعية المجتمع للأهمية الحضارية لهذا المشروع فضلا عن منافعها الأخرى. فنرى فعلا نقص هذا الوعي رغم أهميته من الأسرة الجامعية، الطلبة، المجتمع، أو قد يكون ناتجا عن عدم وجود قنوات مناسبة للتعبير عن رأيهم والمطالبة بتحقيقه. هناك قضية أخرى هو أنه - كما ذكرنا سالفا- من أجل تحصين اللغة العربية على المستوى الثانوي لابد من اكتمال التعريب على المستوى الجامعي وإلا فحتى التعريب على مستوى الثانوي سيكون في خطر [1]، ومثال لذلك ما يحدث حاليا في المغرب الشقيق، حيث وضعت وزارة التربية خطة مفادها التراجع عن تدريس العلوم بالعربية في الطور الثانوي. أما عندنا، فتوصيات تقرير لجنة بن زاغوا التي حكمت [2] بإخفاق اللغة العربية في مواكبة علوم العصر وطرح قضية تدريس العلوم بالفرنسية في الطور الثانوي غير بعيدة عما يحدث عندهم. ولا شك أنه إذا طبقت هذه

---

[1] يمكن فهم عملية تحصين العربية في الطور الثانوي بالقياس التالي: كما يعرف البنائين، من أجل الحفاظ على سلامة الطابق الأرضي لبناية ما، إذا لم يتم تزفيت جيد لسقف هذا الطابق، ينبغي تشييد طابق علوي يصونه من تسريبات ماء المطر.

[2] "La Langue Nationale et les Langues Etrangères dans notre Système Educatif: Discussion du Rapport Général de la Commission Benzaghou" J.Mimouni, N.Guessoum, Le Quotidien d'Oran, 17,18 et 22 octobre 2001; "Sur les langues à l'école, le rapport Benzaghou et certaines délectations intellectomanes" J.Mimouni, Le Quotidien d'Oran, 13 février 2002;

- مذكرات شاهد، رابح خدوسي، دار الحضارة، 2001.

التوصيات لكانت بمثابة سحب البساط من عملية تعريب العلوم في الطور الجامعي بل القضاء النهائي عليه [1].

لا يخفى على أحد أن المكاسب التي نالها التعريب خلال الثمانينات وجزء من التسعينات أصبحت في خطر بل هي محل ردة، إذ كل المؤشرات توحي بتراجع التعريب في كل مجالات الحياة المهنية بل اليومية. أما بشأن تعريب العلوم، فبعد تجميد خطة تعريب العلوم بطريقة غير معلنة في بداية التسعينات تحت الظروف الخاصة لتلك الفترة، ظلت تتقهقر سنة بعد أخرى تحت غطاء نظام LMD والعولمة، ومقروئية المسار الدراسي للطالب. فنسمع كل سنة عن فرنسة فروع جديدة في بعض جامعات الشرق التي كانت معربة، والأدهى والأمر هو أن كل الفروع التي تتفرنس لا يمكن -لأسباب لاداعي للخوض فيها هنا- أن ترجع إلى العربية يوم ما، فهي عملية في اتجاه واحد.

- توقف وتراجع عملية تعريب العلوم :

تبقى قضية تعريب العلوم في الجامعات إلى يومنا هذا محل عدم اهتمام في الأوساط الرسمية، فهي قضية ضائعة في أمل ان تسترجع يوما ديناميكيتها.

[1] مما سيتطلب حتما تكثيف تدريس اللغة الفرنسية على المستوى الثانوي لتمكين الطالب، مما يستلزم جعل المدرسة الجزائرية أحادية اللغة الأجنبية ... المزيد من التبعية لفرنسا في الميدان الثقافي. ولا يخفى على أحد أن معظم المقررات العلمية في الثانوية هي مجرد تكيف مع برامج فرنسية. فإذا تم فرنسة العلوم، فسينحصر العمل حينها على أخذ حرفي للمقررات والمؤلفات.

5ـ استراتجية الحد الأدنى

نظرا للحالة الراهنة لمكانة اللغة العربية في العلوم والفوضى اللغوية التي تعاني منها الجامعات الجزائرية، ينبغي في تصوري انتهاج استراتيجية الحد الأدنى بناء على الاستنتاج التالي:

نظرا لعدم إمكانية زعزعة مكانة اللغة الفرنسية في معظم الجامعات الجزائرية حاليا لأسباب واقعية، ينبغي السعي على تعايش سلمي (Modus vivendi) معها بالتركيز على القضايا البيداغوجية التي لا نزاع فيها، وعلى وجه الخصوص ضرورة محو الانقطاع الموجود بين التعليم الثانوي والجامعي، ذلك الانفصام اللاعقلاني بل الكارثي الذي لا يوجد مثله في أي منظومة تربوية في العالم والذي يذهب ضحيته خير طلبتنا [1].

تتمثل خطة العمل هذه استراتيجية في النقاط التالية:

1- العمل على تدريس المواد العلمية الأساسية في نظام LMD بالعربية بالنسبة للسنة الأولى وجزئيا على الأقل للسنة الثانية، وترك السنة الثالثة ليسانس بالفرنسية في الوقت الراهن في الجامعات التي تدرس بالفرنسية. توفير ترجمة إجبارية بالعربية في كل مسابقات الماستر والدكتوراه الوطنية وذلك لعدم تضرر الطلبة الذين درسوا بالعربية كما هو الأمر حاليا.

[1] الطريقة البديلة هو اللجوء إلى فرنسة المواد العلمية في الطور الثانوي كما أوصى بها تقرير بن زاغو لإصلاح المنظومة التربوية...

2- تشجيع بل فرض اللغة الأنكليزية على مستوى الماستر متى أمكن ذلك [1].

3- صياغة قوانين تنص على أولوية اختيار لغة الضاد في حالات تعدد الطرحات وعدم ترك الأمر للمجالس العلمية أو الأساتذة أنفسهم.

4- على المستوى المؤسساتي، إنشاء دائرة تابعة لوزارة التعليم العالي تتكفل بتحقيق التجانس اللغوي على مستوى الجامعات الجزائرية بغية التخلص أو على الأقل تقليص الفوضى اللغوية الموجودة حاليا والتي هي غير مقبولة في أي دولة تحترم نفسها، وذلك وفق النقاط السابق ذكرها.

5- العمل على تفضيل اللغة الوطنية كلما تعلق الأمر بالمنشورات العلمية و مخاطبة الجمهور العام في قضايا علمية، وإلا فتوفير الترجمة إلى العربية يكون إجباري من حيث المبدأ [2].

6- القيام بحملات توعية حول رهانات التعريب بيداغوجيا واجتماعيا وحضاريا وبالموازاة مع ذلك تطوير أدوات بيداغوجية وتحفيزية مناسبة.

7- إطلاق مبادرة مغاربية مشتركة بشأن تعريب العلوم وتوحيد المناهج العلمية وكذا المعاجم العلمية بهدف عقلنة الإنتاج البيداغوجي والعمل على

---

[1] في رأيي المتواضع لا يمكن تعريب العلوم على مستوى البحثي حاليا بل حتى لأمد بعيد، ولذا لا أرى من أهداف معقولة حاليا تعريب دراسات على مستوى الماستر أو الدكتوراه.

[2] أما فيما يخص المناطق الناطقة باللغة الأمازغية، أو لغة محلية عموما، يمكن تشجيع استعمال الأمازيغية لنشر الثقافة العلمية وذلك بغية تنوير الجمهور في قضايا العصر خاصة في العلوم والتكنولوجيا التي لا يمكن تحقيقه إلا بلغة يفهمها الناس، وللهند تجربة رائعة في هذا الشأن. لا شك أن القضية بحاجة إلى تفصيل، والذي لا يمكن القيام به في إطار هذا البحث.

اندماج دول المغرب العربي تعليميا. هذه الخطوة ستوطد وتعمق لا محالة عملية تعريب العلوم بوضعها في إطار أوسع.

6ـ خاتمة

إن تعريب الادارة وكل من الحياة المهنية والعامة، وكذا التعليم على كل المستويات هو مطلب حضاري، ثقافي بل حيوي، إنه امتداد لمسار استكمال الهوية الوطنية. أما تعريب العلوم فهي ضرورة حيوية لتحصين اللغة العربية وتفتحها على مجالات الحياة المعاصرة وجعلها قادرة على مواجهة تحديات العصر، إذ دون ذلك تفقد اللغة مصداقيتها بل تتحنط. فمن الضروري جدا مواصلة مشوار تعريب العلوم الذي كاد أن يكتمل في بداية التسعينات والذي يقع حاليا مجمدا بل في تقهقر.

وقد وضعنا مجموعة من الخطوات ضمن ما سميناه "استراتيجية الحد الأدنى" انطلاقا من اعتبارات بيداغوجية محضة آخذين بعين الاعتبار الخارطة اللغوية الحالية في الجامعات الجزائرية، ذلك لكي تتم عملية تعريب العلوم بشكل حازم وبعيدا عن كل صراع أيديولوجي.

اللغة العربية لغير الناطقين بها من التعليم إلى الاكتساب

أ.د. الجمعي شبايكي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- قسنطينة -

كلمات مفتاحية: اللغة العربية غير الناطقين بها، طرق التعليم، البيئة التعليمية، الوسط التعليمي، اكتساب اللغة.

العرض:

في الوقت الذي كَثُرت فيه طرائقُ تعليم اللّغات وتعدّدت، لا نزال نشهد قصورا في التعلّم وضعفا في الأداء، مع أننا نكاد نجزم بأن السبب لا يكمن في ضعف المناهج والطرق. لأنّ تلك الطرق أو المناهج في وقت ما أو في بيئاتٍ أخرى كانت قد حقّقت ولا تزال تحقّق نتائج مرضية، لذلك حقّ لنا أن نبحث عن سبب آخر لضعف الأداء خارج الطّرق والمناهج، ونقترب أكثر إلى الوسائل المستخدمة في العمليّة التعليميّة، بحيث نعمل على تفعيل المخزون المعرفيّ الذي تعلّمه المتعلّم من تلك الطرق والمناهج طوال مرحلة التّعلّم.

و باعتماد المبدأ الذي يؤكّد أنّ اللغة الأجنبية يمكن تعلّمُها بالأسلوب الطبيعيّ الذي يتعلّم به الطّفل لغته الأمّ. فإنّنا نرى أنّ التعلّم لا يكفي لإتقان اللّغة والرّفع من مستواها لبلوغ المهارات العالية لدى المتعلّم، بل إنّ المتعلّم بحاجةٍ مُلحّةٍ إلى الوسط الطبيعيّ للّغة التي يتعلّمها من أجل اكتساب تلك المهارات، في رِحلة تناغم بين التعلّم والاكتساب.

فعادة ما يتمّ الحصول على المعرفة باللّغة الأجنبيّة في أماكن التعليم والتعلّم (الفصول الدراسية)، وهو ما يعرف بالتعليم الرسميّ الذي يؤدّي إلى معرفةٍ مقصودةٍ، لكن بوسِعنا أن نلاحظ أن التّعلّم في هذا النوع من الأماكن التعليميّة لا يمكنه إحداث التطوير اللّغوي إلا بالاكتساب الذي هو نتاج استخدام اللّغة بصورة غير قصديّةٍ، حيث أن ّالتعلّم هو المعرفة المقصودة لقواعد اللّغة، وهو لا يؤدّي بالضرورة إلى الطّلاقة في التحدّث ِكما أنّه ناتجٌ عن تعليمٍ رسميٍّ، بينما الاكتساب يحدث في شكل ناتجٍ غير قصدي، وهو تلقائيٌّ ويؤدّي إلى الطلاقة في التحدّث وهو ناتجٌ عن الاستخدام الطبيعيٍّ للغة[1].

وفي سياق البحث عن التّطوير اللّغوي ليس من السهل التخلي عن إحدى المرحلتين (التعلم والاكتساب)، أو الاكتفاء بواحدة دون الأخرى، ففي حالة ما اعتمدنا عامل التعلم القصدي وحده ستنتج لدينا متعلّم ذو معرفة لغويّة عالية لكنّها في الغالب تفتقر إلى المهارات الكافية، و كذلك إذا ما اقتصر التكوين على اكتساب اللّغة بشكل طبيعيّ (ممارسة طبيعيّة) فسينتج لدينا متعلم ذو لغةٍ عمليّة إلى حدّ ما ولكنها فقيرة من الناحية المعرفيّة، لذلك يُقترح العديد من خبراء التربية أن كلّا من التعلّم والاكتساب ضروريّان لكفاءة الاتصال وخاصّة عند المستويات الأعلى للمهارة[2]، بحيث تكون عملية التطوير اللغوي متواصلة يشترك فيها عاملي التعلّم والاكتساب، وهو ما يُعبَّر عنه في الأدب العربي بالفصاحة.

---

[1]ـ استراتيجيات تعلم اللغة: ريبكا أكسفورد، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية (مصر) 1996م، ترجمة: السيد محمد دعرور، ص: 15.

[2]ـ المصدر نفسه، ص: 15 – 16.

حيث الفصاحة كما يقول القزويني(739 - 666هـ = 1268 - 1338م)هي:" ملكة يَقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"[1] وشرَح هذا التعريف كما يلي: "وقيل (ملكة) ولم يقل (صفة) ليُشعر بأنّ الفصاحة من الهيئات الراسخة؛ حتى لا يكون المعبّر عن مقصودٍ بلفظٍ فصيحٍ فصيحًا إلّا إذا كانت الصفة التي يَقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظٍ فصيحٍ راسخةٌ فيه، وقيل (يَقتدر بها) ولم يقل (يعبّر بها) ليشمل حالتي النطق وعدمه، وقيل (بلفظ فصيح) ليعمّ المفرد والمركب"[2].

وهذا ما أكّده ابن خلدون (808 - 732هـ = 1332 - 1406م): عندما اعتبر اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللّسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب أيضا"[3].

ويحرص ابن خلدون على ضرورة التّفرقة بين ملكة اللّسان وصناعة العربية، أو بين من يَحصُلون على علم اللّسان صناعة ومن يحصلون عليه ملكة إذْأنّ صناعة العربيّة إنّما هي معرفةُ قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصّة، فهو علم بكيفيّة، لا نفس كيفيّة، فليست نفس الملكة، إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصّنائع علماً، ولا يُحكِمها عملاً.... وهكذا العلم

---

[1]ـ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين، ط. دار الكتب العلمية (بيروت) لبنان، د.ت. ص: 11.

[2]ـ المصدر نفسه: ص: 11 – 16.

[3]ـ مقدمة اين خلدون: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، 1425ه ـ 2005م، ضبط وشرح وتقديم: محمد الإسكندراني، ص: 508.

بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإنّ العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفيّة العمل وليس هو نفس العمل[1].

ومفاد كلام ابن خلدون أن حاصل التّعليم (ماذا نعلم؟) ليس هو طرق التّعليم (كيف نعلم؟) فالأول يُعنى بالبحوث الرّامية إلى ضبط المحتوى التّعليمي للغة من اللّغات؛ من حيث المفردات والقواعد والتّمارين وطرق القياس والتّقويم، وغير ذلك من البحوث وتحليلات المحتوى التي يختصّ بها الفرع الذي يسمّى: اللّسانيات التّطبيقيّة (Applied Linguistics). والثاني يختص بالبحث في طرق ومناهج توصيل وتدريس هذه المادّة اللّغويّة، ويسمّيه الاختصاصيّون: المنهجيّة (Methodo logy) أو منهجيّة التدريس (Teaching Methodology)[2].

وحاصل الكلام أن للغة مستويين:

- مستوى القواعد الأساسيّة (الصوابيّة، التبليغيّة، التواصليّة...) غرضها الأول هو التبليغ والتواصل؛ مع مراعاة الحد الأدنى من الصّواب اللّغوي.

- مستوى الملكة البيانيّة (البلاغيّة) يظهر فيها الجانب العالي من الكلام متجاوزا الكلام العادي المبسّط، مع التّأكيد على احترام القواعد الأساسيّة؛ بمعنى أن القواعد الأساسيّة محتواه دائما في الملكة البيانيّة[3].

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص: 509.

[2] ـ انظر مقال صناعة تعليم اللغات: لمحة تاريخية وملاحظات ميدانية حول تعليم اللغة العربية لعبد الكريم مسعود جيدور، / http://www.alukah.net/literature_language/0/50157.

[3] ـ استراتيجية بناء الملكة التواصلية لدى طلبة العربية: عمر بوقمرة (كتاب المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية المنعقد في دولة الإمارات العربية بتاريخ 17 – 21/ 7/ 1436ه 6- 10/ 5/ 2015م) ص: 195.

وفي هذا الإطار نمت فكرة تطوير الملكة البيانيّة للّغة من خلال تعلّمها في البيئة الطبيعيّة لها، حيث يرى عبد الرّحمان الحاج صالح (1927م)"أنّ المهارة اللّغوية لا تتطوّر ولا تنمو إلّا في بيئتها الطبيعيّة، وهي البيئة التي لا يسمع فيها إلّا أصوات تلك اللغة المقصودة بالاكتساب، ومن عزم تعلّم لغة ما عليه إلّا أن يعيشها مدّة معيّنة وأن ينغمس في بحر أصواتها، فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها"[1].

دور الانغماس اللغوي في اكتساب الملكة:

يشير ابن خلدون في مقدمته إلى أنّ الملكة البيانيّة (البلاغيّة) هي صفة غير راسخة وإنّما يزيد التّكرار من حالها لتصبح صفة راسخة "فالمتكلّم من العرب حين كانت ملكته اللّغة العربيّة موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبيّ استعمال المفردات في معانيها، فيلقّنها أولاً، ثم يسمع التّراكيب بعدها فيلقّنها كذلك، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم، واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصيّرت الألسن واللّغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال"[2].

هذا النّوع من التّعليم الذي يعتمد السماع والتكرار اللغوي في البيئة الأصليّة يعرف في الوسط اللّساني الحديث بالحمّام اللّغوي" Linguistic

---

[1] ـ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: الحاج صالح عبد الرحمان، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1/ 193.

[2] ـ مقدمة اين خلدون: ابن خلدون عبد الرجمن، ص: 508.

Bath" أو بالانغماس اللّغوي والغمر اللّغويlanguage immersion"[1]، والمقصود به "أن ينغمس المتكلّم في بيئة لغويّة (بحر لغويّ) سماعا واستعمالا (نطقا) من الصّوت إلى الكلمة المفردة إلى التّركيب ،ولايز اليتكرّر السّماع عليه، ويكرّر هو النّطقبه، حتّى يصير صفة راسخة ويكون كواحد منهم وإن لميكن من جنسهم. وبقدر نقص الانغماس وضعفه في مهارتي السّماع أو النّطق، وفي أيٍّمن مستويات اللّغة الثّلاثة (الصّوتي،الصّرفي، التّركيبي)، بقدرماتكونالملكة النّاتجةعنذلكضعيفة مخدوجة. ذلك هو الانغماس اللّغوي الذي على قدره تكون الملكات"[2].

لكن بالنّسبة لـ(كَمَنزCummins) فإنّ مصطلح "الانغماس" يستخدم بطريقتين مختلفتين جدّا في الخطاب التّربوي:

المعنى الأول: برامج الانغماس هي نماذج منظّمة ومرتّبة من التّعليم ثنائيّ اللّغة، حيث الطّلبة يكونون مغموسين في البيئة التّعليمية للّغة الثّانية بهدف تطوير الكفاءة في اللّغتين(اللّغة الأولى واللّغة الثّانية).

المعنى الثاني: يشير مصطلح "الانغماس" إلى غمس الأطفال المهاجرين أو الأقليّة في بيئةِ الفصول الدراسيّة حيث يجري التّدريس حصريّا من خلال اللّغة

---

[1]ـ ترجم عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح"Bainlinguistique"LinguisticBath" بـ"الانغماس اللغوي" ينظر بشير أبرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، الملتقى الوطني الثاني "الصوتيات بين التراث والحداثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، البليدة، نيسان 2002، ص 38. ولا يخلو كلا المصطلحين من الاستعارة والتشبيه، بحيث يكون المتعلم كالمغموس في حمام مائي ينظف لغته ولكنته، واستعير لفظ الغمس لإفادة نقل المتعلم إلى وسط لغوي مستقل عن الوسائط الأخرى.

[2]ـ استراتيجية بناء الملكة التواصلية لدى طلبة العربية: عمر بوقمرة، ص: 196.

الثّانيـة (أو الثّالثـة) (غالبـا اللّغـة السّـائدة في المجتمـع أو اللّغـة العالميّـة الأكثـر استعمالا) [1].

أما عند (جينيسي Genesee) فقد كان اعتماد الانغماس اللّغوي في أوروبّا والولايات المتّحدة الأمريكيّة موجّها إلى فئتين من النّاس:

1. متعلّمون قَدِموا يتحدّثون لغةَ مجتمعاتِ الكثرة في بلادهم (مثل: اللّغة الانجليزية في كندا أو اللّغة اليابانيّة في اليابان).

2. متعلّمون قَدِموا يتحدّثون لغة مجتمعات القلّة (مثل: اللّغة الإسبانيّة في أمريكا أو اللّغة المجريّة في سلوفاكيا).

وأكثر ما يطلق مصطلح (الانغماس) على النوع الأوّل من التّعليم، أما النّوع الثّاني من التّعليم ثنائيّ اللّغة فيمكن العثور عليه بالبلدان التي توجد بها هجرات كثيرة كهولندا والولايات المتحدة الأمريكية، أو التي بها متحدّثين بلغات السكّان الأصليّين (على سبيل المثال: نيوزيلندا والبيرو) [2].

ويرى باحثون آخرون وجود ثلاثة أنواع رئيسيّة للانغماس اللّغوي:

1. الانغماس الكلّي: يتمّ فيه تخصيص حوالي 100% من اليوم الدّراسي للّغة الثّانية، ممّا يعني تقريبا كلّ المواد تدرّس باللّغة الثّانية.

2. الانغماس الجزئي: يُخصّص فيه ما يقارب نصف الوقت الدّراسي للّغة الثّانية.

---

[1] ـ Jim Cummins; Bilingual and Immersion Programs, Handbook of Second Language Teaching (Eds.). Micheal H. Long and Catherine J. Doughty. London: Blackwellpublishing Ltd, p161 .

[2] ـ Genesee Fred: What do we know about bilingual education for majority language student? The handbook of bilingualism (Eds.): Tej k Bhatia and William C Ritchie, London; Black well publishing Ltd, 2006, p549.

3. الانغماس ذو الاتّجاهين أو الانغماس مزدوج اللّغة ذو الاتّجاهين: وهو النّوع الذي يتمّ فيه دمج لغة المتعلّمين الأقليّة ولغة المتعلّمين الأكثريّة في صفّ واحد بهدف التميُّزِ والكفاءة اللّغوية لكلا الطّرفين[1].

برنامج اكتساب ملكة اللغة العربية:

لتحقيق الملكة اللغوية أو ما يعرف بالفصاحة في اللغة العربية، سنحتاج حتما إلى برنامج محكم يتأسس على الانغماس اللّغوي، إذ اثبتت الدّراسات أنّ تدريب المتعلّم عن طريق غمسه في مجتمع اللّغة المقصود تعلّمها، مع إجراء تخطيط محكم وتدريب تربويّ ملائم، يجعله يتمكّن من إحكام المهارة اللّغوية بصورة كافية وفي أقصر مدّة ممكنة.

في هذا الصدد يمكننا اتباع المعايير التي حدّدها(تود كوان Todd Chowan) (1997) لإعداد برنامج الانغماس اللّغويّ الفعّال وهي كالآتي:

أولا – أن تكون للّغة الوسيطة للبرنامج هي اللّغة الثّانية، ولا يسمح باستخدام اللّغة الأم.

ثانيا – أن يتمّ تعلّم اللّغة الثّانية في سياق التّواصل الحقيقي (الطبيعي) ويجعل موضوع محتوى التّعليم، الألعاب، والأغاني والقوافي والخبرات مع الفنون، والحرف اليدويّة، والرياضة.

[1] **Recommended Citation** Pacific Policy Research Center. 2010. SuccessfulBilingual and Immersion Education Models/Programs. Honolulu: KamehamehaSchools, Research& Evaluation Division,p2.

ثالثا – أن تكون فعاليّات البرنامج متنوّعة بحيث يدور معظمها في الميدان أو خارج الصف.

رابعا– أن يتضمّن البرنامج فرصا للحركة والنشاط البدني.

خامسا – أن تتمّ أنشطة التعلّم وفقا لمنهج التواصل وليس وفقا لمنهج النحويّة. ويحدث تعليم قواعد اللّغة في هذا السياق التواصلي.

سادسا – أنتهت مفعاليّات البرنامج بالمهارات اللّغوية وتُستخدم رُؤى من أبحاث اللّغة الثّانية في تطوير جميع جوانب البرنامج.

سابعا –أن يُحدِّد البرنامج اللّغة الثّانية كوسيلة حقيقيّة للاتّصال في الوضع الاجتماعي والثقافي الأصيل لها.

ثامنا – أن يهتمّ البرنامج بالقراءة والكتابة.

تاسعا –أن يكون التقييم بصورة منتظمة ومتكرّرة، على نحو يتّسق مع أهداف البرنامج[1].

أهداف هذا البرنامج:

سنهدف من خلال برنامج اكتساب ملكة اللغة العربية إلى تحقيق جملة أمور أهمها:

1. أن يتمّ دمج الطّالب في بيئة اللّغة العربية ليعيش بين أهلها ويكتسب ملكتها.

2.

[1]_Todd Chowan, Key Concepts Of Successful Immersion. The ACIE Newsletter, November 1997, Vol. 1, No. 1.

3. الارتقاء بمستوى مهارة الطّالب اللّغوية إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة.

4. التعرّف على كثير من الجوانب الصّوتيّة والصرفية و التركيبيّة للّغة العربية.

5. التعرف على ثقافة وعادات وتقاليد مجتمع اللغة العربية.

استراتيجية اكتساب الملكة اللغوية:

تلعب المؤسّسات والهيئات العلميّة والثقافيّة واللغويّة دورا هاما في تَرقيَةِ مُستوى المهارة اللّغوية لمتعلّمي اللّغات، وتسعى جاهدة من أجل تطوير برامج تُفَعِّل هذه الرؤية، لتتماشى مع حاجات المجتمعات وتطلّعاتها في تعلّم اللّغات الأجنبيّة، وأملا في التغلّب على التحدّيات التي تواجه الاقتصاد العالمي ووصولا إلى عالم متعدّد اللّغات والأجناس، وذلك من خلال تطوير المناهج البيداغوجيّة للّغة، وتخصيص البرامج اللّغويّة التي تساعد على تمكين المدرّبين والمتعلّمين من تحقيق أهدافهم التي يقصدونها من تعلّم اللّغة.

وفي هذا السياق توفّر بعض المؤسّسات والمراكز التعليميّة اللّغوية برامج الانغماس اللّغوي كفرصة لتعلّم اللّغة في وسطها الطّبيعي، من خلال الانغماس الثقافي وتوفير العيش في بلد يتحدّث اللّغة المقصود تعلّمها، بحيث يصبح المتعلّم فردًا من التنظيمِ الاجتماعيِّ الذي يتعلَّم لُغتَه، فيكتسبَ منه إلى جانبِ اللُّغةِ القيمَ والاعتقاداتِ والميولَ والمبادئَ...الخ.

هذه البرامج تكون مصمّمة لتمنح فرصة للمتعلّمين حتى يتعلّموا اللّغة من أصولها، ولتُقدّم لهم تجربة العيش في بلد اللّغة المقصود تعلّمها، حتى يكتسبوا فهما أعمق وثقافة أوسع.

وتشمل تلك البرامج عدّة آليّات لتعزيز معارف المتعلّم و مهاراته.

نذكر من هذه الآليات ما يلي:

1. **عروض التكوين حول الدول المقصود تعلّم لغتها:** حيث تقدم للمتعلمين عروضا كتابيّة وصوتيّة ومرئيّة(Texte, Audio, Vidéo)عن بلد اللّغة المقصود تعلّمها، تشمل الدّين والعادات والتقاليد والموارد الطبيعيّة والمنتجات الصناعيّة والزراعيّة...وغيرها مما يشكّل في مجمله معرفة كافية بثقافة المجتمع المراد تعلّم لغته، ويمكن أن نسمي هذا النوع من التكوين الانغماس اللّغوي الافتراضي، لأنه يحاكي الانغماس اللّغوي الحقيقي، فينقل المتعلّم افتراضيّا إلى بلد اللّغة المقصود تعلّمها ويقترب من ثقافته من غير أن يضطرّ إلى الانتقال والتّرحال، خاصة عند ضعف الإمكانات وشحّ الموارد الماليّة.

2. **الرحلات الميدانيّة اللّغوية:** يهدف هذا النوع من الانغماس اللغوي إلى التخلّي عن الفصول والنشاطات الدراسيّة والخروج عن الدّراسة المألوفة، وذلك عن طريق تنظيم رحلات خاصّة بالمتفوقين أو عامّة إلى بلاد اللّغة المقصود تعلّمها، أوعن طريق تنظيم رحلات إلى جهات معيّنة داخل البلاد كالمراكز اللّغوية أو المراكز والملحقيّات الثقافيّة التي تهتم باللّغة المقصود تعلّمها، أو تنظيم رحلات سياحيّة وثقافيّة يشترط فيها عدم استعمال اللّغة الأم واستعمال اللّغة المقصود تعلّمها فقط، ويكون هذا البرنامج مصحوبا بمرافِقِين لا يعملون كدليل سياحيّ عن المواقع والأماكن الأثريّة، وإنما دورهم تقديم الإرشادات وتنظيم الرّحلة مع المتعلّمين قبل وأثناء الرّحلة، كما أنّهم أناس تمّ اختيارهم لمعرفتهم بالبلاد أو الأماكن التي يتنقلون إليها، فيتقاسمون معارفهم مع المتعلّمين ويثيرون فضولهم حول ما يتمّ زيارته من أماكن ومناطق.

3. **اللقاءات الثقافيّة اللغويّة:** وذلك عن طريق تنظيم لقاءات متخصّصة مع الضيوف الذين يأتون في زيارات خاصّة أو الذين تقدم لهم دعوة خاصّة للالتقاء بالمتعلّمين، وفي هذا الإطار يتمّ انتقاء الشخصيّات المتميّزة التي بإمكانها أن تساعد في عمليّة التّكوين، أو التي يمكن أن تقدّم معلومات أكثر وضوحا فيما يتعلّق بثقافة البلد وعاداته وآدابه.

المراكز والمعاهد والجامعات الصيفيّة اللغويّة(أو ما يعرف بالمخيّمات اللغويّة الصيفيّة): دأبت كثير من المعاهد و الجامعات والمراكز التعليميّة للّغات في أغلب دول العالم على تنظيم مراكز صيفيّة أو جامعات صيفيّة، بحيث يتمّ فيها جمع أكبر عدد ممكن من المتعلّمين والمعلّمين، يشكلون جنسيّات مختلفة ولغات متعدّدة تجمع بينهم اللّغة المقصود تعلّمها، وغالبا ما تكون هذه التجمّعات في فصل الصيف بعد نهاية الموسم الدّراسي والفصلي، ومنه استمد هذا التّكوين اسمه.

ولتنفيذ هذا البرنامج تلجأ كثير من الهيئات والمؤسّسات الحكوميّة التعليميّة للّغات إلى اختيار عدد معين من المتعلّمين المتفوّقين من مختلف المدارس والمعاهد والجامعات، حيث يتمّ جمعهم في فترة واحدة من فصل الصّيف لدعم تكوينهم لغويّا وثقافيّا مع ضخّ كميّة كبيرة من المعلومات والخبرات، وذلك عن طريق برنامج محكم لا يسمح فيه التكلُّم إلاّ باللّغة المقصودُ تعلّمها.وقد يتمّ تنظيم مثل هذه المخيمات الصيفيّة اللّغوية للمتعلّمين الراغبين في تحسين مستواهم اللّغوي، وتختلف تكلفة هذا النّوع من البرامج التكوينيّة حسب المكان والمستوى التكويني.

يتضمّن البرنامج عادة دروسا في اللّغة ونشاطات متنوّعة رياضيّة، فنيّة، ألعاب، رحلات ...الخ.

الإقامة مع العائلات المضيفة لتعلّم اللغة:

إنّ توسيع برنامج الانغماس اللّغوي وتفعيله ميدانيا استدعى التفكير في آلية الأسرة المضيفة لتعلّم اللّغة، بحيث يوفّر هذا النوع من الانغماس اللّغوي خبرة لغويّة فريدة من خلال الحوار المتواصل مع الأسرة المضيفة حول الأكل، الفن، السياسة، الاقتصاد، الأدب...، كما أنه يخلق صداقة متينة بين المتعلّم وأفراد الأسرة المضيفة.

حتميّا يواكب هذا النّوع من الإقامة برنامجٌ تعليميٌّ محكمٌ في الصف الدراسي، وتكون الإقامة عند الأسرة المضيفة في هذا التكوين بمثابة الميدان الخصب للدّراسة التطبيقيّة، مما يعمّق المجال المعرفي للمتعلّم ويقلّص مدة التكوين بدرجة كبيرة جداً، تجعل من هذا البرنامج المتكامل المتناغم أفضل أنواع الدّمج الاجتماعي اللّغوي.

وبالجملة تضمن هذه البرامج ما يلي:

- عدم استعمال اللغة الأم في الحوار.
- القدرة على التفاعل.
- القدرة على التواصل والحوار.
- الطلاقة في الكلام.
- زيادة الثقة في النفس
- توسيع الحقل المعرفي.

– تقليص مدة الكفاءة والمهارة إلى مدة لا يمكن أن يحققها أي برنامج تدريبي آخر.

مؤسسات الانغماس اللغوي لاكتساب ملكة اللغة العربية:

يعتبر الانغماس اللّغوي آخر البرامج المتطوّرة وأكثرها ازدهارا في مجال تعليم اللّغات لغير الناطقين بها، ويزداد الاهتمام به والعمل على تحسينه في أكثر البلدان تطوّرا، حيث يحقّق نتائج جد مُرضيّة في زمن قياسي، ناهيك عن الفوائد المعرفيّة والاجتماعيّة التي يكتسبها المتعلّم في هذا النّوع من البرنامج التعليمي اللّغوي، ممّا يجعل عمليّة العثور على مدارس ومعاهد تُعلّم اللّغات بطريقة الانغماس اللغوي في العالم الغربي سهلة جدا، بخلاف العالم العربي والإسلامي؛ فإنّنا نلاحظ – وبشكل لافت للانتباه –قلة اهتمام المؤسّسات التعليمية في العالم العربي والإسلامي بهذا النّوع من التعليم والتدريب، سواء على مستوى الدراسات والبحوث أو على مستوى التطبيق، مما يجعل العثور على مركز تعليمي يطبق برنامج الانغماس اللّغوي في الدول الإسلاميّة أو العربيّة أمرا في غاية الصعوبة.فمن بين المؤسسات التي يتم فيها تطبيق برنامج الانغماس اللغوي لاكتساب ملكة اللغة العربية:

1 –مركز البحث المتقدم لاكتساب اللغة بجامعة مينوسوتا[1]

The Center for Advanced Research on Language Acquisition (CARLA)

هو أحد الأقسام التعليمية بجامعة مينوسوتافي الولايات المتحدة الأميريكية، ومن أولوياته دعم الانغماس (الدمج) التعليمي من خلال

[1]ـ انظر موقع المركز: / http://carla.umn.edu/index.html.

البحث المستمر وتطوير شبكة وطنيّة مستدامة للمتعلّمين المغموسين، مخصّصة لتبادل المعلومات ونتائج البحوث والموارد.

ويعتمد في تحقيق أهدافه على الوسائل الآتية:

1. **المجلس الأمريكي للتعليم الانغماسي American Council on Immersion Education (ACIE):** يسعى إلى تعزيز التواصل بين المتعلّمين المغموسين، وغيرهم من المهتمّين بمجال التعليم الانغماسي.

2. **تعليم الانغماس اللغوي بولاية مينوسوتا Language Immersion Education in Minnesota:** حيث تلعب برامج الانغماس اللّغوي دورا هامّا في سدّ فجوة نقص المهارة اللغويّة، وإعداد الأطفال مستقبلا على القدرة على المنافسة في الاقتصاد العالمي.

3. **المعاهد الصيفيّة CARLA Summer Institutes:** كل صيف توفر CARLA فرصَ التطوير المهني للمتعلّمين المغموسين بما في ذلك المعلّمين والإداريّين ومنسّقي المناهج الدّراسيّة، وكذلك خبراء التربية الذين يعملون مع برامج الانغماس التعليمي.

4. **الانغماس ومؤتمر تعليم اللغة المزدوجة Immersion and Dual Language Education Conference:** تستضيف CARLA مؤتمرا دوليّا حول الانغماس والتعليم اللّغوي المزدوج، يتم فيه ربط البحوث ببعضها البعض والاستفادة من الخبرات المختلفة.

2 – **مؤسسة أربعين بالرباط (المملكة المغربيّة)** حيث يتمّ تطبيق برنامج (انغماسية ألفا) [1] وهو برنامج يقوم على أمرين أساسيّين:

-غمس المتعلم في جوّ لغويّ يتّخذ اللّغة العربيّة الفصحى لغة التواصل داخل الزمن المدرسي وفي الأنشطة التي تقام في المؤسسة التعليمية سواء داخل الفصل أو خارجه، أي في جميع مرافق المؤسسة؛ حيث يتاح للمتعلم اكتساب اللغة العربية الفصحى بالفطرة والممارسة، عبر التواصل الشفهي دون التطرق إلى القواعد النحوية إلا في مرحلة متقدمة.

-البيئة الملائمة التي تساعد على التعلم السريع والفعال.

3 - **كلية الشريعة في أوروبا** FACHWESENISLAMISCHER)FIT THEOLOGIE) [2]: وهي مؤسّسة خاصّة موقعها بالدّولة الألمانيّة، تُعنى بتعليم أمور الدّين الإسلامي واللّغة العربيّة، كما لها برنامجا خاصا بالانغماس في تعلّم اللّغة العربيّة بتركيا، وهو برنامج مكثف لتعليم اللّغة العربيّة لغير الناطقين بها خلال مدّة شهرين ونصف، يضمّ كثيرا من النشاطات التعليميّة والرياضيّة والثقافيّة.

أما فيما يتعلّق بالبرنامج التعليمي الثقافي، فزيادة على النظام التعليمي المعتاد الذي يضمّ التدريس اليومي وبرامج المحادثة والكتابة، هناك برنامج يسمّى (برنامج الشريك اللّغوي)، وفيه يقسم الطلاب إلى أربعة مجموعات، ويعيّن لكل مجموعة شريكا لغويّا، وظيفته: مساعدة الطلّاب في كل ما

[1] ـ انظر موقع المؤسسة: / http://immersionling.yolasite.com.

[2] ـ انظر موقع المركز:http://www.fit-eu.org/ar/page/26.

يحتاجونه، ويناقشهم بعد ذلك بما استفادوا لغة وثقافة، بحيث لا يقلّ عدد الساعات التي يلتقي فيها الشريك مع الطلّاب عن 10 ساعات أسبوعيّا.

- **جامعة الأخوين بالمغرب**[1]: حيث يتمّ تطبيق برنامج صيفيّ مكثّف يقدّم العديد من الفرص للطلّاب من كافة أنحاء العالم في سلكي البكالوريوس والماجستير وما بعدها من الدراسات. لاستكمال مهاراتهم في اللّغة العربيّة، وليتعرّفوا على شمال أفريقيا ويستكشفوا الجوانب المختلفة للثقافة المغربيّة من خلال أنشطة الأندية والرحلات الميدانيّة لبعض الأماكن بالمغرب.

لا يتمّ تعليم اللّغة العربيّة للطلبة في الفصل ومن خلال الواجبات فحسب، بل يتمّ تكوينهم عن طريق الانغماس اللّغوي من خلال التعامل مع الطلّاب والمدرّسين والعاملين بالجامعة وغيرهم من خارج الجامعة في مجتمع إفران.

كما أنهم يدرسون موادّهم إلى جانب طلّاب الجامعة المغاربة، مما يعزّز ملكتهم اللغويّة ويُمكّنهم من تحصيل أجزاء هامّة من مواد البرنامج، خاصة فيما يتعلّق بشمال أفريقيا والشرق الأوسط.

حوصلة:

من خلال المفاصل التي تمّت مباحثتها سابقا يمكننا التأكيد بأنّ الاقتصار في عمليّة تعليم اللّغة العربيّة لغير الناطقين بها على الفصول الدراسيّة، سينتج متعلّما ذا معرفة لغويّة هامّة، لكنّه لا يضمن الطلاقة في الكلام، ولا يؤدّي إلى الكفاءة والمهارة في الحوار والمحادثة، ولتجاوز مشكلة الاقتصار على

[1] ـ انظر موقع المركز: http://www.aui.ma/en/ar-23.html.

التعليم اللغوي إلى مستوى اكتساب الملكة اللغوية، سنحتاج إلى برنامج الانغماس اللّغوي، لأنّه يُمكّن الطالب من تعلّم اللّغة العربيّة في وسطها الطبيعي عبر برنامج محكم يضمن مستويين اثنين:

المستوى الأول: التعلّم الذي يحقق المعرفة باللّغة المقصود تعلّمها.

المستوى الثاني: اكتساب الفصاحة التي تحقّق الكفاءة والمهارة في الحوار.

وعلى هذا الأساس تصبح عمليّة تطوير الكفاءة والمهارة اللّغوية منوطة بدور المؤسّسات والهيئات العلميّة والثقافيّة اللّغوية في تفعيل برامج الانغماس اللّغوي للّغة العربيّة، عبر الآليات الحديثة في تدريب اللّغات الثّانية الأخرى أهمها:

1. تنظيم مخيّمات صيفيّة لغويّة للتّدريب على اللّغة العربيّة.

2. تنظيم رحلات ميدانية لغويّة داخل البلاد أو خارجها، ويشترط فيها استعمال اللّغة العربيّة فقط.

3. تنظيم لقاءات ثقافيّة لغويّة مع شخصيّات أو ضيوف كلما سنحت الفرصة.

4. تقديم عروض تكوينيّة لغويّة (صوتيّة ومرئيّة وكتابيّة) باللّغة العربيّة فقط عن البلدان العربيّة وطبيعة العيش فيها.

مع التأكيد على المعايير التي وضعها تود كوان للبرنامج اللّغوي الناجح، لإدراك الهدف المنشود وهو:

تحقيق الفصاحة عند متعلمي اللّغة العربيّة الناطقين بغيرها في أقصر مدّة ممكنة.

اللغة العربية و الهوية في عصر العولمة

الدكتور نورالدين ثنيو
جامعة الأمير عبد القادر
- قسنطينة-

هذا البحث و أهدافه

اللغة العربية هي محمول تاريخي ووعاء حضاري و وسيلة ثقافية للعرب و المسلمين. كما أنها لغة/ خطاب الإسلام الذي يحمل معاني الدين و الدنيا و الآخرة لكل العالم. فإذا كانت اللغة العربية لغة عالمة (savante) عبّرت عن أرقى أشكال الوعي الإنساني، أي عن الإنسان في كافة أبعاده النفسية و الوجدانية و الروحية و العقلية ، فضلا عن حاجاته المادية و الإجتماعية، فان اللغة العربية هي أيضا لغة كونية عبَّرت و لا تزال تُعَبِّر عن الكون في كافة مستوياته و تجلياته، و أقوى ما تتجاوب مع عصر العولمة الذي صار يكشف عن حروف و كلمات و حقائق القرآن الكريم، لغة السموات و الأرض و الآخرة.

اللغة العربية وعاء حضاري، ثقافي، روحي و ديني حامل للهوية العربية باعتبارها وسيلة للتخاطب و الإبداع و الخلق و الصناعة أيضا.و لأنها كذلك، تستطيع أن تدرك معاني العصر في أرقى مراحله و تطوراته أي في عصر العولمة. و العولمة ، كما نتعامل معها، هي سياق تاريخي سريع و معقد يفصح لمن له القدرة على القراءة و الإصغاء، عن المعاني المستورة في الكتاب المنشور (حقائق الكون و روائعه) في ضوء الكتاب المقروء و آياته. و أبرز ما

تظهر هذه العلاقة في عصر العولمة، لأن هذا العصر فائق الإبداع و الخلق و الكشف، يمنح قدرة عجيبة لإدراك المعاني وأصول الكلمات و مشتقاتها في ثقافات و لغات و حضارات الأمم و الشعوب المختلفة على تنوع عطاءاتها و انجازاتها. فما من نص إلا و سبقه نص آخر و يُـرَدُّ إليه، لكي ننتهي إلى حالة من التَّنَاص العام التي لا تخلو منه حضارة من حضارات العالم.

اللغة العربية هي اللسان الواضح، الذي تحدث عن عالم الغيب والشهادة، و عن الكون و أجواءه و عن الآخرة و مشاهدها. و على إنسان العصر المعَوْلَم أن يدرك معانيها و يفصح عن مدلولاتها و مكنوناتها في سياق التوجه العام نحو المطلق. إن اللسان العربي المبين هو بيان حال العالم والإنسان من الأزل إلى الأبد، و أبرز ما تظهر هذه الحالة في عصر العولمة على ما نشهد من كشف متلاحق و فوري للكلمات والأشياء، علاوة على لغة القرآن المبين الموجهة إلى الإنسان حيثما كان، تتجاوب أكثر مع عصر" العالم كله " في لحظة فورية واحدة.

اللغة العربية وعاء لتراث العرب و المسلمين، ومن ثم فهي هوية يعرف العرب بها و يتعرفون من خلالها على أنفسهم ، و تمثل مقوّمهم الركين في عالم صار يزخر باللغات و الثقافات. و نعالج الموضوع في النقاط التالية: اللغة العربية في عصر الهويات المفتوحة – اللغة السياسية و المدنية .. لاستكمال الهوية العربية – اللغة العربية و مسألة الحداثة – الفجوة الحضارية بين العرب و الغرب ...أو التفاوت في المصطلح الحديث.

اللغة العربية في عصر الهُويات المفتوحة

نعيش في عصر الهويات المفتوحة التي لا تكتفي فقط بذاتها بقدر ما تبحث عن الآخر كأفضل سبيل لاكتمال و انسجام الهوية مع العصر و متطلباته و تلافيا للمآزق و الأزمات و المفارقات الثقافية و الحضارية. فإذا كانت اللغة العربية، لغة حية مثلها مثل سائر اللغات الحية في العالم، فإنها مدعوة دائما إلى التجدد، ومن ثم تجديد الهوية ذاتها للصلة القوية بين اللغة و الملامح القاعدية للذات الإنسانية. فلا نضيف جديدا، إذا قلنا أن اللغة هي الوعاء و الحامل لهوية القوم أو الجنس الذي يتكلم بها. و هذا صحيح إلى حد كبير و يصدق على اللغة العربية و قدرتها على تشكيل و الحفاظ على الهوية العربية. لكن اللغة لا تكف عن التطور و النماء المتواصل مع معطيات الكون و الدنيا، و عن التطلع إلى المستقبل لاستيعاب مفرداته و كلماته و جمله المفيدة كأفضل سبيل إلى السيطرة على الأشياء المادية و المعنوية.

وعليه، فان اللغة العربية، بما تمتلك من قدرة ذاتية، إنْ على مستوى البنية أو الامتداد على مستوى الدين و الدنيا و الآخرة، فيجب عليها أن لا تتوقف عن البحث في الهوية و عنها أيضا، لأن البحث عن الهوية، في جزء كبير منه متأتي من وحي وجود الهوية ذاتها. بمعنى أن البحث عن الهوية و محاولة الوجود و الانسجام معها، لا يعني بحال غياب الهوية، لأن الدافع إلى البحث المتواصل عنها جاء بدافع ديمومة وجودها المتطلع إلى الكمال و الانسجام مع معطيات و مقتضيات العصر في آخر مراحله. لا مشاحة إذن، في أن تطرح مسألة اللغة العربية و الهوية ضمن إشكالية العصر : الهوية العربية مع / في مواجهة الآخر كأفضل سبيل للوقوف على الهوية المتجددة، القادرة على استيعاب الجديد دونما تنكر للتراث و الأصيل، لا بل الكل يتماشى في لحظة

آنية و فورية تعبِّر عن العصر في آخر مراحله الفائقة. فقد صار الآخر، طرفا مهمًا في بلورة الأنا، الذات أو الهوية كأفضل سبيل لتجاوز الاستلاب و الإغتراب و المسخ، إذا لم نقل الاندثار و الانمحاء.

مع تجدد اللغة تتجدد الهوية، و العكس صحيح أيضا، فمع إدراك قيمة الهوية يزيد الاهتمام باللغة، حيث يتم في ذات اللحظة السعي إلى امتلاك المفردات و الصيّغ الجديدة لتجديد التعامل مع اللغة في صلتها بالهوية، أي التقدم على صعيد العلم و المعرفة و الشعور بمسئوليتنا عن مصير العالم و الناس الذين يعيشون فيه. فالحديث عن اللغة في صلتها بالهوية، كما نبحثها في العالم العربي، حديث أثير لأنها تحثنا على واجب التقدم و التطور و النماء على مختلف الصُّعُد و المستويات، كأفضل سبيل لامتلاك انسجام و حصانة الإنسان العربي و مجتمعه، و من ثم زيادة رصيده الثقافي و عدّته الحضارية بحيث لا يخشى إطلاقا التماهي و التلاشي و الاضمحلال. فكل تعامل مع الجديد و مع الآخر هو إضافة جديدة إلى الذات أو ما يعرف بالشخصية القاعدية التي يصهرها التاريخ والجغرافيا والتي تحدد، في نهاية التحليل، الإنسان العربي على أنه عربي، أي أنه يعرف نفسه من خلال اللغة، و يتعرف عليه الغير كونه يتحدث العربية ويعبر بها عن رأيه في النقاش العالمي. إن أخذ الكلمة، في سياق العصر الفائق، ليعرب الإنسان عن رأيه، في ذات الوقت يحكم عليه الآخرون أيضا بأنه عربي .

وهكذا، فان الحديث عن الهوية العربية في صلتها باللغة العربية، هو حديث برسم الاكتمال و السعي إلى ملء النقص في البنية التي لا تكف

عن عملية البناء و إعادة البناء [1]. فقد سبقت الإشارة إلى أنه يستحيل البحث عن الهوية في غيابها، بل البحث عنها هو عنوان كبير على وعي قومي يرنو إلى الانسجام و الكمال، و الهوية العربية من هذه الناحية هي مشروع مفتوح آيل إلى الالتقاء بعناصر الذات مع معطيات الكون و العالم[2]. ما تعاني منه الهوية العربية هو عدم امتلاكها لروح الحداثة في كافة تجلياتها و مظاهرها، و غابت بسبب ذلك قضايا العصر الكبرى عن وعي الإنسان العربي و مسئولية الدول العربية عن مصير العالم ، أي نصيب العرب في الحفاظ على سلامة الوجود الإنساني و تطوره، على ما تصنع الدول الكبرى التي تشعر بأنها مسئولة عن العالم و مصيره، و تسخِّر كافة الإمكانات المادية و المعنوية من أجل مواجهة التحديات و الرهانات التي تلازم و ترافق العلاقات الدولية، و مخلَّفات العلم و التكنولوجيا. و بتعبير آخر يهم العرب، أن يرتقي الإنسان العربي بهويته إلى مرتبة التعلق بمصير الإنسانية، كما توحي به نصوص الخطاب القرآني، من أجل أن يتسنى له العيش في لحظة انسجام

[1] أنظر ، محمد عابد الجابري، وجهة نظر .. نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.

[2] انظر في هذا الصدد كتاب الروائي و الكاتب اللبناني أمين معلوف: الهويات القاتلة . الهويات تصبح قاتلة عندما لا تأخذ بالمعطيات و النوازل الجديدة على ما شهد العرب في حياتهم الحديثة والمعاصرة.Amine Maalouf, les identités meurtrières, Grasset, Paris, 1998

اللغة مع الهوية[1] التي لا تكف عن الانفتاح على الغير و الآخر، بعدما صارت الغيرية جزءا مهمًا في بناء و تكوين الذات.

اللغة السياسية و المدنية.. لاستكمال الهوية العربية

اللغة السياسية هي لغة إدارة الشأن العام و تدبير الإختلاف و تسيير نظام الحكم، كما أن اللغة المدنية هي لغة تعكس ثقافة المدينة الحديثة بكل أجوائها و عبقها و روحها، يشعر فيها المواطن بالانتماء إليها انتماء وجودي، تحدد هويته في نهاية المطاف، و لا يمكنه الاستغناء عنها، حتى ولو كان بعيدا عنها. لا ريب أن اللغة، أي لغة في العالم، على صلة متينة بالسياسة كفكر و ممارسة، عندما تعني إدارة الحكم من قبل السلطة الشرعية، و نقد الحكم من قبل المعارضة، تفاديا لاحتكار معاني الكلمات و دلالتها في رحم السلطة الحاكمة فقط. فكلما كان نظام الحكم/ السلطة/ الدولة العربية على قدر كبير من الفعلية و الحَكَامَة (الحكم الراشد)، كلما زادت إمكانية استخدام اللغة العربية في قضايا حقيقية و مصيرية تساعد على تقليص الأمية السياسية و احترام أكثر للمدينة كفضاء عام يستدعي لغة المال العام التي تتحدث بخطاب غير استحواذي ولا احتكاري على اعتبار أن المال العام هو ملك الجميع كما يقال.. لكن ما ينقصنا كعرب في هذا الجانب هو امتلاك ناصية اللغة التي تعكس الوعي بقيمة و أهمية المجال العام والمؤسسة العامة كأفضل سبيل لاستكمال الهوية العربية الناقصة.

---

[1] حول صلة اللغة العربية بالهوية و الأسئلة التي تثار حولها، يمكن العودة إلى الكتاب / الندوة: اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي و المستقبل، مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

اللغة العربية تحتاج إلى اللغة السياسية الحديثة إن على صعيد النظرية السياسية أو على صعيد التجربة و الممارسة السياسية أيضا لقوة الصلة و العلاقة البينية التي صارت عليها المنظومات الفكرية و العلمية في عالمنا الفائق. و عليه فان التحدي الكبير الذي يواجه العرب ليس ما آلت إليها اللغة العربية كلغة تواصل و قِوَام هوية، بقدر ما يتمثل هذا التحدي الخطير في قلة تبَصُّر النظام السياسي العربي في مسألة اللغة العربية و صلتها بالسياسة عندما تعني أن كل شيء هو السياسة و أن السياسة هي أيضا كل شيء، بمعنى ما من مجال من مجالات الحياة إلا و يحتاج إلى تدبير سياسي: السياسة الاقتصادية، السياسة الثقافية، السياسة البيئية، السياسة الاجتماعية، السياسة الدولية... فالقصور في تغطية هذه السياسة في مدلولها الواسع هو الذي ينعكس عند التحليل الأخير على اللغة و يحيلها إلى الانكماش و الاضمحلال. ومن الأمثلة في التدبير الناجح للغة العربية هي اللغة المتداولة في بعض الفضائيات العربية عندما هيئت اللغة و أعدت برسم التداول العربي القومي و من أجل كل العرب في سائر أنحاء العالم، فوظفت اللغة ليس لترديد مناقب أنظمة الحكم العربية أو لشرح البيانات و القرارات التي تصدر عنها بلغة متخشبة و مترهلة من فرط تداولها حتى النفاد الأخير. فقد فُتِح المجال للّغة العربية للتداول العام، يخاطب بها الشعب العربي كوحدة قومية تزيد من متانة الهوية العربية التي تفلت من أنظمة الحكم القُطْرية و الاحتكارية. و لعّل النجاح البارز في تداول اللغة العربية في الفضائيات هو أنها استدعت سياسة جديدة: زيادة الاهتمام الدولي بالشأن العربي و لو بإحداث قنوات فضائية تتحدث بلغات عالمية أخرى.

حول صلة اللغة العربية بالقومية العربية الحديثة، يمكن القول أن اللغة العربية طُلِبَت لمحاولة توكيد نزعة إيديولوجية برسم الاستقلال عن الدولة العثمانية، ثم عن الإستعمار و النزعات الإقليمية. فقد كان المطلوب هو القومية العربية و ليس اللغة العربية كوجود ذاتي تستطيع أن تنجز متطلبات العصر الحديث و المعاصر. فتوكؤ النزعة القومية على عامل اللغة العربية هو اقرب إلى الاستنجاد السياسي بها للاستقلال عن الدولة العثمانية، و لم تكن عن مقصد معرفي، طغت عليه ايديويوجيا بدل إبستومولوجيا اللغة كعامل حيوي لإزدهار الشخصية العربية في كل مكوناتها الدينية و الإجتماعية و التاريخية و تطلعاتها المستقبلية، خاصة على مستوى طريقة التعامل مع العالم و تنوعه الحضاري و الثقافي، حيث اختُزِلت اللغة العربية إلى بعدٍ واحدٍ هو قومية السلطة السياسية، استغلتها الأحزاب و التنظيمات السياسية ذات التوجه القومي، التي كانت في حقيقة الأمر توجهات إقليمية، لأنها كانت تدعو و تروِّج إلى الدولة الإقليمية. فقد أفضت النزعة القومية إلى نوع من الانكفاء على الذات العربية و استغلالها ليس ضدا على من ليسوا عربا بل ضد العرب أنفسهم [1]عندما تشكلت الأحزاب القومية و البعثية و العروبية ضدا على بعضها البعض كشفت في نهاية التحليل عن سوء استخدام اللغة العربية كلغة تداول و سيمياء للعالم العربي و الإسلامي و الدولي، عندما راحت كل دولة عربية إلى احتكار اللغة العربية و تضمينها البيانات السياسية التي تصدر عن الأحزاب و الحكومات العربية التي تؤبد الحاكم و السلطة و لو ضدا على منطق الدولة المدنية الحديثة.

[1] نورالدين ثنيو، الهوية العربية تواجه ذاتها، مجلة الديمقراطية، ع.12، أكتوبر 2003، مؤسسة الأهرام، القاهرة.

والحقيقة، كما يشهد على ذلك تاريخ الحضارة العربية، أن التوكيد الحصري على اللغة العربية في تثبيت الذات و الهوية على ما يرى القوميون العرب طوال القرن العشرين تقريبا، فيه افتئات على قوة وفاعلية اللغة العربية التي لم تتحدد في منطلقها و خاصيتها على إقليم جغرافي محدد، بل هي دائما برسم الانفتاح سواء بالدين أو الحضارة أو معاني الكلمات. فقد واصلت اللغة العربية امداد المراكز الحضارية التي جاءت بعد حضارة العرب بالمعاني و الدلالات و الحكمة و الأثر البالغ في إعادة تشكيل قوميات و مجتمعات جديدة شكّلت اللغة العربية قوامها الجوهري إن على صعيد فهم و إدراك رسالة الدين الإسلامي و استيعاب الانجازات العلمية و الفكرية المتوارثة عن حضارة العرب في عهدها الكلاسيكي، كما حدث مثلا للحضارات العثمانية، و الفارسية و الأردية و العديد من المناطق الأسيوية و الإفريقية، فضلا على فضل العربية على النهضة الأوروبية الحديثة.

و عليه، فقد توقفت اللغة العربية في المثال العربي عن العطاء الريادي، لكنها تواصلت مع بقية الحضارات التي جاءت في أعقاب حضارة العرب الكلاسيكية، و استفادت من دلالات و معاني الوضوح و الأمر البين كما جاء في رسالة القرآن الكريم، كشفت في نهاية التحليل و المطاف عالمية الرسالة و تأبيِّها عن الانكفاء أو الدعوة القومية الحادة التي ترمي إلى الاستغلال لخاصية الوضوح للغة العربية. و اليوم، ليس هناك إطلاقا ما يحول بين العرب و إمكانية استعادة امتلاك خاصية الوضوح في اللغة العربية لإدراكها و استيعابها عبر التداول العام و الإبداع و الخلق في كافة المجالات و الحقول العلمية الفنية، الإعلامية، التكنولوجية و إعادة إصلاح الخطاب

الديني و السياسي وفق إيقاع العصر الفائق و وتيرة العولمة التي تقتضي انفتاح المشاريع و البرامج و الخطط و حتى الدعوات إلى ما هو عالمي و إنساني.

إن التعويل الحصري على اللغة العربية من قبل القوميين العرب، كما سبقت الإشارة، كان في موضع الاستنجاد بها و ليس للإبداع و الإنتاج المعرفي و الثقافي، بل كان التعويل على اللغة محمَّلا بالبطانة السياسية الظرفية للخروج في البداية من الأسر العثماني، ثم صارت بعد ذلك تعاند في توظيف اللغة في تمجيد الدولة و الحزب و القائد، و علّقت كل شيء على السلطة ، و لم تراع التَّنوع و الاختلاف و الكثرة التي تزخر بها المجتمعات و الشعوب العربية.و هكذا، فقد خلفت مزاحمة السياسة للغة و استغلالها إلى النيل من عبقرية اللغة العربية في لحظتها الحديثة، عندما تم مضايقتها و حشوها بمفردات و كلمات مبهمة و ملتبسة، يصعب استيعابها بتلقائية و يسر، نشير إلى تعريب المفردة الأجنبية بأكثر من معنى أو ما دون المعني أو إلى معنى خاطئ أصلاً، فضلا على الأثر السلبي التي تركته الحروب العربية العربية، و الخلافات السياسية و المحاكمات و السجالات بين الأنظمة العربية الحديثة التي قلمّا امتلأت أجهزتها بقيم و مبادئ و طرق تسيير الشأن العام و الدولة المدنية على أسس من التناوب و الديمقراطية.

تعامل القوميون العرب مع اللغة العربية كهوية حصرية لهم، و هذا ما أدّى إلى الافتئات على قوة و قدرات و مكامن اللغة العربية في عصرها الحديث، الذي يجب أن تنفتح عليه، الأمر الذي أفرز ظاهرة الأدب العربي في المهجر خارج البلاد العربية التي سادت فيها أحدية السلطة و الحكم، على امتداد التاريخ العربي الحديث و المعاصر، فضلا على رصيد اللغة

العربية في المجال العلمي و المعرفي الذي قدّمته الجامعات الأجنبية في العالم العربي.

اللغة العربية لغة تأبى المحلية، و تَندُّ عن القبيلة و العشيرة و القطر، بل تطلعت و لا زالت إلى ما هو واضح و بيّن في كل بقاع العالم لتتجاوب مع رسالة القرآن الكريم الذي انفتحت معانيه على آفاق الدنيا و التاريخ و الآخرة، و استمرت دلالات آياته حتى مع أجناس من غير الجنس العربي، و في هذا المعنى يرى الشيخ صبحي صالح " اللغة العربية، ليست فرعا من اللغات الإنسانية، فهي جميعا تتبادل التأثير والتأثر. و هي جميعا تُقْرِض غيرها و تَقْتَرض منه متى تجاورت أو أتصل بعضها ببعض على أي وجه، و بأي سبب و لأية غاية... و لم يكن ما أدخلته (العربية) من الألفاظ الأجنبية قليلا، لأنها عربت منه الكثير قبل الإسلام، حتى رأيناه في لغة الشعر الجاهلي و قرأناه في سور القرآن و استخرجناه من بعض الحديث النبوي، ثم عرّبت منه الكثير بعد الإسلام"[1]. و من هنا، فالتحدي الداهم للغة العربية، بناء على ما تقدّم، هو في المأزق العربي الراهن الذي يظهر تعدُّد أنظمة حكم عربية تتعامل مع لغة عربية واحدة. و الدعوة هنا ليس إلى تعدد استخدام اللغة العربية إلى توحيد النظام السياسي لتتحرر تبعا لذلك اللغة العربية. و للتوضيح أكثر، نقول أن نظام عربي لا يتصرف مع اللغة العربية بنفس ما يتصرف به نظام عربي آخر.. و من هنا وجه الإرباك و اللبس في استخدام

[1] صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، 1962، ص.366-367.

الكلمات و ما تحمله من شحنة و حمولة إيديولوجية و سياسة وطنية ظرفية[1]. ففي الوقت الذي تستقل اللغة العربية عن النظام السياسي العربي المتخلِّف، تزدهر الكلمات و مفردات القاموس العربي و يتسع دورها و وظيفتها لتعبر عن الإنسان بصيغة الجمع و الفرد، و عن المجتمع كأمة من الأفراد مواطنين لدولة قوام وجودها الأفراد ذاتهم. و يوضح هذه الحقيقة الشيخ محمد المبارك على النحو التالي:" إن اللغة حادثة اجتماعية... اللغة متصلة بحياة شعب من الشعوب تنتقل معه في الآفاق المادية و المعنوية، ترسم فيها صور بيئته الخصبة أو الوعرة.. و تنعزل معه إذا هو انعزل، و تختلط بغيرها إذا هو اختلط بغيره

[1] نأخذ على سبيل المثال النظام العربي الليبي كما حاول أن يجسده معمر القذافي، و نشير إلى دور اللغة في انهيار حكمه. فقد عمد منذ بداية عهده بالحكم إلى تغيير المصطلحات المتداولة في المجال السياسي والاقتصادي و الاجتماعي و حتى في الدبلوماسية الدولية، و نظّر للمسألة الديمقراطية و الاقتصادية و الاجتماعية في وثيقة أيديولوجية أطلق عليها "الكتاب الأخضر"، الذي أراده كنظرية عالمية ثالثة يتجاوز بها النظرية الرأسمالية و النظرية الاشتراكية، من دون أن يشير إلى الخلفية التاريخية و الفكرية التي تستند إليها النظرية الثالثة في مجتمع ليبي متخلف متوارث عن لحظة انهيار الحضارة العربية لعصرها الذهبي. لكن وجه السقوط و انهيار نظام القذافي جاء من إخفاقه في ترسيخ مفردات كتاب الأخضر و ممارسته السياسية، التي تبين في نهاية المطاف أنه أراد من خلال قاموسه الفاشل أن يغطي على المعاني الواضحة و البيّنة في مفاهيم الفكر السياسي الحديث و المعاصر، ثم أن ثورة الشعب الليبي ضد الزعيم القذّافي تمثلت في قدرة الشعب على احتفاظه بمعاني الكلمات و المفاهيم المتداولة في العالم و لم تتمكن منه مصطلحات خطاب الكتاب الأخضر التي فقدت وهجها و بريقها الأول مع بداية الانقلاب عام 1969، لمّا تسلم الحكم. و هكذا، انهار النظام الليبي بسبب غياب النظام السياسي ذاته، لأن ما حاوله الزعيم القذّافي هو استمرار للغة الانقلاب في عصر مفارق تماما لها، الأمر الذي صار يعني الفوضى الواضحة.

من الشعوب، ثم هي ترافقه في آفاق حياته الفكرية، فتنخفض فلا تسجل إلا الحسيات، و تُحَلَّق إذا حلّق الشعب في آفاق التفكير العلمي و الفلسفي"[1].

إن التعامل مع الوضع السياسي و المدني على أساس أنه جزء من الهوية أو أنه يساعد على ذلك، يوفر فرصا أكثر لكافة أفراد الشعب لكي تعبر و تبدع و تخلق و تصنع ليس فقط في مجال الأدب و الفكر و الفن و الرياضة و التجارة، بل تساعد على بلورة و تداول لغة عربية واضحة بين أفراد الشعب العربي في ما بينه، و بينه و بقية العالم، لأن اللغة العربية المتداولة في هذه الحالة تستبطن كافة القضايا العالمية و الإنسانية، يظهر فيها العرب قدرة على إبداء وجهات نظرهم. و لعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن أقوى بلدان العالم هي تلك التي تنتج المصطلح السياسي و المدني لما يوفرها نظامها الحاكم من ديمقراطية و ما توفّره مدنها من فضاءات و مجالات عامة توحي بالراحة و الاطمئنان يشعر أفرادها بهويتهم الكاملة. و على خلاف ذلك، نجد حالة التسلط و الاستبداد و ضيق المجال السياسي في العالم العربي أثره البالغ في محاصرة اللغة العربية عن التعبير عن القضايا و التحديات الحقيقية التي تواجه فعلا العربي في وجودهم، كما أن تورم المدن العربية على نحو عشوائي و كامتداد للضواحي الصفيح، أفرز حالة من القنوط و العياء و الفتور في الانتماء إلى الحياة المدنية العربية الحديثة.

[1] محمد المبارك، فقه اللغة، مطبعة جامعة دمشق، 1960، ص.4.

فمعروف أن المدن العربية [1] لا توحي كثيرا لأدباء العالم بالقدوم إليها والكتابة من وحي أجوائها و عبيرها، بل على العكس تماما نجد أن المبدع و المفكر و العالم العربي هو الذي يرحل إلى المدن الأوروبية و الأمريكية من أجل استكمال الهوية الناقصة لديه، على ما شهدته مدن باريس، لندن، روما، برلين، أمستردام، واشنطن، نيويورك، أوطاوا،ناهيك عن عشرات المدن الأخرى الهادئة و المريحة.

وجود العرب معلق على وجود لغتهم. وسياق العولمة و العصر الفائق يتيح أكثر من فرصة للاستثمار في اللغة ، و من ثم امتلاك و استكمال الهوية العربية. و نأخذ على سبيل المثال مدن العربية السعودية، التي يتدفق إليها الملايين من المسلمين في العالم بمناسبة مواسم الحج والعمرة، يرددون أدعية، يؤدون مناسك و شعائر دينية بلغة عربية و لغات أخرى مختلفة تساعد كثيرا على التواصل و إغناء اللغة العربية بتوفير أجواء موحية لمناطقها التاريخية

[1] في زمن سابق قريب كانت المدن العربية تتمتع بفضاء يستقطب الاستقرار فيها و الكتابة من وحي أجوائها، و مناخها على ما كانت عليه مدن المغرب و تونس و الجزائر، بيروت، القاهرة و خاصة الإسكندرية التي عاش و كتب فيها ألمع و أكبر شعراء القرن العشرين. حول مدينة الإسكندرية و كبار شعراء العالم، يمكن العودة إلى كتاب: أحمد عبد المعطي حجازي، بابل الشعر، كتاب دبي الثقافية، عدد 44، يناير 2011. في تقديمه للكتاب يقول الشاعر عبد المعطي حجازي:" في حديثي عن كفافيس، و أونجاريتي، و مارينيتي حنين للإسكندرية الهللينية و الكوزموبوليتانية التي عرفتها و أحببتها في صباي الباكر في الخمسينيات القرن الماضي و ستينياته، حين كانت الإسكندرية لا تزال مدينة مختلطة حافلة بالوجوه و الألوان و اللغات و الألحان و المطاعم و الفنادق و الحانات، إسكندرية كفافيس، و أونجاريتي، و مارينيتي، و جورج شحادة، و خليل مطران، و إيليا أو ماضي هي بابل الشعر". ص.16

و إعادة تصميم بيئات و بنايات من الوحي العمران الإسلامي الذي لا يتوقف عن الإبداع الفني. و اليوم هناك، إمكانية الاستثمار في اللغة العربية في بلدان الخليج العربي، التي شهدت بعض مدنها طفرة نوعية هائلة من التقدم و النماء مثل دبي، أبو ظبي، الرياض، الدوحة.. التي تستقطب المال و الأعمال من مختلف القارات في العالم، الأمر الذي يتيح تداول اللغة العربية من قبل السوّاح، رجال الأعمال و التجارة و المتعاملين الاقتصاديين، و الشركات الدولية و في المؤتمرات السياسية و الاقتصادية و الفكرية التي تقام فيها بشكل مستمر و التي يجب أن تستمر إلى حد أن تصير ثقافة.

اللغة العربية ومسألة الحداثة

تُطْرَح اليوم اللغة العربية كمسألة أساسية، و تمثل إشكالية انتقال العرب و المسلمين إلى مصاف الأمم المتقدمة، أي العرب و صلتهم بالحداثة في كل تجلياتها و أبعادها بحيث يَتَمَثَّلُون العصر و ينخرطون فيه بالكشف و العطاء و الإبداع. فاللغة العربية ليست وسيلة تعبير فقط عن مستوى عامي، شعبي و محلي بقدر ما صارت ترنو إلى التعبير عن ما هو أكاديمي و عالمي و القدرة على إدارة و تسيير المؤسسات الحكومية و المجتمعات المدنية الوطنية منها و الدولية. ناهيك أن اللغة العربية أضحت موضوعا للبحث و الدراسة و المعالجة و التحليل بالقدر الذي أصبحت فيه مسألة كاملة للعبور إلى الحداثة ليس كلغة تخص العرب، بل أيضا لغة عربية للعالمين أيضا بسبب سياق العولمة الذي كثف العلاقات البينية بين الشعوب و الأمم و تداعيات ذلك على صعيد النزوح و الهجرات البشرية المتلاحقة التي لا تعرف

التوقف، و غيَّرت الكثير من المعطيات الديموغرافية و الثقافية[1]. و من هنا، المطلوب هو التعامل مع اللغة العربية برسم تعميمها على سائر الشعوب و الأمم لأن العالم صار قرية واحدة على رأي ماك لوهان.

العلاقات البينية و الاعتماد المتبادل، أضحت في العصر الفائق ظاهرة لا يمكن الافتئات عليها و لا التغاضي عنها، لا من قبل العرب و لا من طرف غيرهم، لأن الجميع صار يرنو و يتطلع إلى احتلال الموقع العام في الحضارة الإنسانية الراهنة و في المستقبل أيضا. و من هنا، فاللغة العربية، لا تطرح فقط من حيث تَعْلِيمِها و تَعَلّمها، بل توظيفها في الأغراض الحديثة و الجديدة التي لم تعهدها حضارة العرب في عصرها الكلاسيكي و لا في عصر الانحطاط قبل مجيء الاستعمار الأوروبي. و هكذا، فالمسألة المطروحة على اللغة العربية ليست كلسان و وسيلة تعبير بل كقضية حضارية كبرى

[1] نذكر على سبيل المثال ظاهرة التنوع الديموغرافي في بلدان الخليج العربي الذي غيّرت من ملامح مجتمعاتها و هي مرشحة إلى مزيد من التحوّل الثقافي. ففي بعض من بلدان الخليج العربية عدد الوافدين / المقيمين يفوق السكان الأصليين أنفسهم، و في هذه الحالة تصبح مسألة تعلم و امتلاك اللغة العربية أكثر من مصيرية ليس ضدا على لغات المقيمين، بل في صلتها بهم كأفضل إمكان لإثراء اللغات و استخدمها في مستوياتها المختلفة. فقد شهد العصر الحديث حالات من الهجرات الكبرى، على ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية نهاية القرن التاسع عشر و ما بعده، ثم ما رافقه من ازدهار و تقدم على كافة الأصعدة و في مختلف المجالات و خاصة إثراء اللغة الإنجليزية التي أضحت بقوة التقدم و التطور لغة أمريكية. و نعتقد أنه بإمكان اللغة العربية أن تستفيد من وجود المقيمين الذين قد يطيل بهم المقام في بلدان الخليج العربي و ينصهرون في البوتقة العربية في صورتها الحديثة عندما يتسع استخدامها و التعبير بها على كافة الأصعدة و المستويات بل و في مختلف المجالات و الفضاءات.

جوهرها التقدم و امتلاك ناصية التاريخ الفاعل الذي يفصح عن المعنى و السلطة و الحقيقة.

قامت حضارة العرب بداية من عصر التدوين الذي شمل تقعيد و ضبط قواعد و أسس اللغة العربية من حيث البيان و البلاغة، النحو و الصرف وأساليب الكتابة و الترجمة عن الحضارات الأخرى، فضلا على كيفية التعبير و استخدامها في علوم جديدة قيد التشكل و التأسيس[1]. و قد كان الغرض الأساس الذي استقطب العملية الحضارية برُمَّتها هو تَدَبُّر معاني القرآن الكريم عندما صار مدوَّنا بين دفتي كتاب ينطوي على آيات محكمات و أخرى متشابهات. و انفتحت العملية على مقابلة آيات الله في القرآن الكريم بآيات الله في الكون العظيم. و هكذا، فقد كانت القضية التي سخرت لها إشكالية البحث اللغوي هي صيانة القرآن الكريم و الحفاظ عليه بالإفصاح عن كافة مستوياته الدلالية و اللفظية لاستخلاص و استنباط الأحكام الفقهية و التأويلات الكلامية و المعرفية. فاللغة العربية لم تطلب لذاتها، و لكن لمهام علمية و أغراض و انجازات حضارية، فكانت وسيلة وموضوعا في ذات الوقت، و من رحم هذا التفاعل شيّدت الحضارة العربية.

[1] أنظر في هذا الصدد مشروع محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، الذي استهلّه بعصر التدوين، اللحظة التي بدأ فيها العقل العربي يعي أنه يؤسس لنفسه حضارة برسم التوجه بها إلى العالم، أي الإنخراط الواعي في صناعة الحضارة القائمة على القرآن الكريم. و يذكر الجابري أن أهم محددات العقل العربي هي البيان (اللغة العربية)، البرهان (الدليل العقلي) و العرفان(عالم التصوف و السمو الروحي). و قد درست جميعها في لحظة زمنية واحدة، القرن الثاني الهجري، لأن المحددات الثلاثة مثلت و اشترطها بناء صرح حضاري جديد للعرب. محمد عابد الجابري، **تكوين العقل العربي**، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988

و تواصلا مع نفس هذا السَّمْت و المنهج في التعامل مع اللغة العربية، فان المطلوب اليوم، وهذا ما تم في جزء منه، إعادة طرح مسألة اللغة العربية ليس كوسيلة تخاطب في عصر انتشار وسائل الإعلام، بل كموضوع يوقفنا على قدرات ومكامن اللغة لاستخلاص الإبريز[1] فيها ليس كتراث تاريخي بل كفقه، فلسفة، قوة إدراك للعالم الحديث و المعاصر و ما تتطلع إليه الإنسانية في المستقبل. و هكذا، فالتحدي، و هو ليس مستحيلا، الذي يواجهه العرب هو إعادة صياغة إشكالية اللغة العربية ليس في ضوء الحفاظ على القرآن الكريم فحسب ، كما حدث في عصر التدوين الأول[2]، بل برسم امتلاك

[1] وردت كلمة إبريز في عنوان كتاب رجل النهضة العربية الحديثة، رفاعة رافع الطهطاوي: **تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، أو الديوان النفيس بإيوان باريس**. و الكتاب، هو تجربة الشيخ الطهطاوي مع بوادر النهضة الأولى، حيث تعرض فيها إلى امتحان الحداثة مع اللغة التي استعملها أيضا. وواضح أن الشيخ لم يتخلّ عن أسلوب السجع الذي يحرص على التوافق بين الكلمات أكثر ما يحرص على الوضوح المبدئي. فلغرض السجع و تصنّع الحرف، كتب اسم العاصمة الفرنسية مرة "باريز" لتوافق الإبريز، و كتبها مرة أخرى باسم "باريس" لتوافق كلمة النفيس. و يبقى في جميع الأحوال أن لغة الطهطاوي، لغة مصدومة بالحضارة الغربية، فهو لا يتوفر على سابق يستند عليه، بقدر ما حاول تطويع اللغة العربية بما يستطيع هو أن يستنطقها به من حياة الفرنسية العلمية،السياسية و المدنية و مقارنتها بأحوال الحياة المصرية.

[2] إن الانجاز الحضاري الكبير الذي اضطلع به علماء عصر التدوين الأول، كما حدده المفكر العربي محمد عابد الجابري، تمثل في "عصر البناء العام الشامل للثقافة العربية و الفكر العربي. لقد كان العرب، و المسلمون عامة يمارسون الحياة، قبل "عصر التدوين" ممارسة اجتهادية، في كافة حقولها و مجالاتها، اللغوية و الفكرية و الدينية و السياسية و الإجتماعية... إذ لم يكن العقل العربي آنذاك مقيدا "بأصول" مقررة و لا مؤطرا ضمن مذاهب معينة. و يأتي عصر "التدوين" ليشهد عملية فريدة من نوعها في التاريخ، عملية وضع "الأصول" لكل مجال من مجالات الحياة الثقافية منها و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية. فمن وضع "أصول" للتفكير الفقهي =

العلم الجامع الذي نتقاسمه مع الإنسانية جمعاء التي تتفاعل و تتجاوب مع آيات الله في خلقه و شؤونه. فالعربية، في سياق الزمن الفائق، ليست للعرب فقط، بل هي لكل الأمم و الشعوب على اختلاف ثقافاتها و لغاتها أيضا. و إذا كنّا ندرك أن القرآن الكريم هو ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فان نفس الاهتمام بالحقيقة، يجب أن ينصرف إليه الأمر في شأن التعامل مع اللغة العربية في صلتها بالحقائق الكونية الكبرى: الله، الإنسان، الإنسانية، عبر تقليب و إتقان اللغة على أوجهها المتنوعة و المختلفة و المتحّولة أيضا، لأن كل ذلك يفيد الوضوح المُبين لآيات الله إن في الكتاب المنزَّل أو في الكتاب المنثور في دنيا الناس.

يرى الباحث و المفكر العربي في مجال البرمجيات، نبيل علي :" علينا أن نقر بأن علاقة اللغة العربية بالفكر الثقافي مازالت واهية إذا قيست بما يفعله الآخرون في هذا الشأن، و بمدى أهمية الدور المتعاظم الذي تلعبه اللغة في الفكر الثقافي الحديث"[1].و في نفس المعنى، يؤكد المفكر و عالم النفس العربي مصطفى صفوان، حقيقة التلازم بين اللغة العربية و الإبداع الثقافي. فالإبداع

=و إرساء قواعد الحكم و السياسة، إلى تنظيم الإقتصاد (الخراج...)، إلى تقنين كثير من مظاهر الحياة الإجتماعية و الثقافية. فعلا، كانت هذه "الأصول" جميعها نتيجة اجتهاد في النصوص الدينية و اللغوية، نوعا من الاجتهاد، لكنه في جميع الأحوال كان اجتهادا خاضعا قليلا أو كثيرا مباشرة أو بصورة غير مباشرة، لمعطيات ذلك العصر، السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية."، محمد عابد الجابري، وجهة نظر، نحو إعادة بناء الفكر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص.10.

[1] نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات : رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص, 185.

كما يرى، لا يقتصر على الشيء المبدع، بل أيضا على فعل الإبداع نفسه [1]. و واضح من هذين الرأيين، ضرورة توكيد الصلة بين اللغة و بين مناحي الحياة المختلفة كأفضل سبيل إلى امتلاك العالم في تفاصيله و مستوياته. إن صلة اللغة بالفكر الثقافي لا تتوقف إطلاقا و إلا عنى ذلك ضمور اللغة و انكماشها ثمَّ التلاشي الحضاري. فاللغة العربية، كما أشرنا، لغة كامنة وواضحة تنطوي على ما هو معروف و ظاهر، فضلا على ما هو مجازي و متواري خلف تاريخية و إيحائية اللفظ. وفي هذا الجانب، لا تختلف اللغة العربية عن سائر اللغات الحية في العالم من حيث امتلاك القدرة على التوليد و الاشتقاق و إضفاء المعاني على الوقائع و الكلمات و الأحداث و كل الأشياء التي يمكن و لا يمكن تصورها و "تنسيق الأسماء الجديدة للمخترعات"... فضلا على قدرتها العجيبة على الاحتفال بالذات و بالآخر و على ترجمة خوالج و مكامن النفس العميقة و الإعراب عن تطلعات الشعوب و المجتمعات و مقاومة الخطاب الكولونيالي، ناهيك عن بلورة مفاهيم سياسية، فلسفية، أخلاقية و اقتصادية.. التي تقتضيها الحياة الإنسانية الرّاهنة. و الشرط اللازب إلى كل ذلك هو وصول اللغة إلى المجال السياسي

[1] مصطفى صفوان مفكر مصري ، تلميذ و زميل العالم و المحلل النفسي الفرنسي المعروف جاك لاكان Jacques Lacan، في كتابه " لماذا العالم العربي ليس حراً"، يحاول الإجابة على ذلك بانحسار المجال الذي تتحرك فيه اللغة العربية و من ثم الفكر العربي لكي يفكر في جميع قضايا العصر الحديث و المعاصر.اللغة لا تمارس سلطتها بالكامل و الفكر أوا لعقل لا يَشْتَغِل بكل قدراته . الضامن الأساسي لإمكانية الارتقاء باللغة العربية إلى مرتبة التاريخ الإنساني هي الحرية بدلالتها الحقيقية، ومعانيها القوية.أنظر، Moustapha Safouan, pourquoi le monde arabe n'est pas libre, Denoël, Paris,2008, p.89-102,

العام لكي تتحرك في سياق الوضع الحقيقي الذي يوجد عليه العرب و المسلمون. فقط ولوج اللغة العربية إلى المجال العام هو الذي يساعد على الانفتاح و الازدهار و التحفيز الإيجابي لإدراك معاني الحياة في كافة مجالاتها المتعلقة بالإنسان والمجتمع و الله و الكون.

ثمة حقيقة يجب أن لا نفتئت عليها، و هي أن اللغة العربية لغة الإنسان الكامل، الذي لا يكف عن التطلع إلى ما هو أفضل، تساعده في ذلك المعاني الجديدة التي توحي بها اللغة في صلتها بالواقع. و الإنسان الكامل هو هذا الكائن الذي يتطور عبر تطور اللغة في صلتها بالدنيا و الآخرة، و يستطيع من ثم أن يحدد مصيره و يدرك غايته من وجوده في الحياة. فقد خاض الإنسان العربي تجربة الرقي مع اللغة العربية و كذلك تجربة الانحطاط و التخلف، و هو اليوم يحاول إن يستعيد مجددا اللغة العربية في سياق فائق التطور و النماء، مما يدلل على تاريخية اللغة العربية عندما تتعلق بالإنسان، و أنه يستطيع أن يعيد تعامله مع اللغة بشكل تتلاءم مع مقتضيات العصر الراهن في كل تجلياته و مظاهره. و كون أن اللغة العربية تعبر عن الإنسان الكامل يعني أنها تمتلك القدرة على التعبير عن كل أبعاد الإنسان الجوانية منها و البرانية بصيغة الفرد [1] أو بصيغة الجمع. ففي مجال الشعر مثلا، كانت "

[1] مثال التعبير بصيغة الفرد: إن الثقافة العرفانية و تجارب المتصوفة تعد من التعبير الفردي ذي الصلة بوجدان و فكر العارف و المتصوف. و في هذا الباب دشَّن علماء التصوف محيطا زاخرا من العلم الإيحائي و الإشاري. أما التعبير بصيغة الجمع : النزعة القومية العربية الحديثة عبّرت عن تيار عروبي من منزع أن اللغة العربية هي قوام وجود العرب و هويتهم الأساسية، و أن العربي يعرف بلغته و اللغة العربية هي لغة العرب بالذات.

قصيدة النثر" هي الصيغة الإبداعية للغة العربية الحديثة عندما أرادت أن تعبر عن وجدان الشاعر العربي و أحاسيسه حيال دنيا الناس. يقول الشاعر الكبير "أدونيس"، و هو أحد رموز الشعر الحر في هذا الصدد، أي في صدد قوة اللغة العربية في تفجير كينونتها لتستوعب المعاني الجديدة و لتمتلكها، و عدم انفصام عراها مع لحظة الإبداع و الخلق و الابتكار:" إن شعرية اللغة العربية لا تستنفدها الأوزان، على الرغم من كمالها و غناها فنيا، و أن هذه اللغة تزخر بإمكانات تعبيرية و طرائق و تراكيب، يتعذر أن نضع لها حدّا نهائيا تقف عنده فهي لغة مفتوحة على اللانهاية. و ابتكرت قصيدة النثر أيضا طرقا و أشكالا أخرى للتعبير الشعري، تواكب الطرق والأشكال القائمة على الوزن، و تؤاخيها، بما يغني اللغة الشعرية العربية وينوّعها و يعددها. و في هذا إثراء للمخيلة و للذائقة أيضا. فقصيدة النثر، كما تبنيتها، لم تكن ضدّا لقصيدة الوزن، و لم تكن إلغاء أو نفيا لها، و إنما كانت تجريبا جديدا في حقل اللغة، إلى جانب الوزن... و المبدأ الآخر التي قامت عليه "قصيدة النثر" هو الرغبة في جعل اللغة العربية مفتوحة على جميع التجارب الشعرية في العالم، وفي وضعها إبداعيا، على خريطة الإبداع الكوني، بخصوصيتها، لكن في الوقت نفسه، بانفتاحها و لا نهائيتها: تفاعلاً، و مقابسةً، و حواراً"[1].

أكد العلم الحديث حقيقة التلازم بين اللغة و الشخصية، و أن أي اضطراب أو خلل يصيب الشخص ينعكس على لغته، ثم لا يلبث أن يعبر عن سلوك عقلي فاسد و ضعف في شخصية الإنسان. و لم يعد الأمر قاصرا

[1] حوار مع أدونيس، مجلة آداب، بيروت، أكتوبر 2001.

على الفرد بل تعداه إلى الجماعة أو الأمة ذاتها، عندما لا تحسن التعامل مع اللغة في كل أبعادها و مستوياتها أو يربكها الحدث المدلهم فتخفق في أخذ الكلمة أو عن التعبير عن الموقف [1]. فأساس التخلف هو في ضعف استخدام اللغة، و العكس صحيح أيضا على اعتبار أن هناك علاقة جدلية و تأثير متبادل بين العقل و اللغة، على ما كان يرى الفيلسوف الفرنسي باسكال: "اللغة تَصْنَع الفكر الذي يَصْنَع بدوره اللغة". كل العلوم الإنسانية و الاجتماعية محورها الإنسان في صلته باللغة التي يستخدمها في الدوائر الذي ينتمي إليها، في سيرورة لا تني تتقدم و تتعاظم، تتطلب الحرص الشديد على عدم التخلف عن الركب التاريخي و الحضاري.

التخلّف الذي كان يعاني منه العالم العربي زمن الاستعمار الأوروبي هو تخلف في إدراك المعاني الجديدة للفكر السياسي و العلم النظري و التطبيقي [2]. لم تكن وسيلة التعبير عند الإنسان العربي في هذه الفترة تتوفر

---

[1] نحيل في هذا المقام إلى كتاب المفكر العربي جورج طرابيشي، المثقفون العرب و التراث، التحليل النفسي لعصاب جماعي، الذي يضع فيه الخطاب العربي المعاصر، و على وجه التحديد خطاب ما بعد نكسة 1967، على مشرحة التحليل النفسي ليقف على أهم الرَّضات و الأمراض التي أصابت العقل العربي في صلته باللغة التي يصوغ بها مفردات خطابه. جورج طرابيشي، المثقفون العرب و التراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي، رياض الرّيس للكتب و النشر، لندن، 1991.

[2] نأخذ على سبيل المثال الإستعمار الفرنسي للجزائر، على اعتبار أن الجزائر هي البلد الذي تعرض إلى احتلال استيطاني مباشر، و عاملتها فرنسا كإقليم تابع لدولتها. مع مطلع القرن العشرين كان الفعل الاستعماري يتبعه رد فعل مناهض للإستعمار، التمسته الحركة الوطنية الجزائرية المتوثبة إلى استعادة السيادة و المعاملة بنفس قيم العصر و روحه. و كانت كل التشكيلات الوطنية التي تكافح ضد الاحتلال تستخدم اللغة الفرنسية، لغة الإدارة و الحكم ،=

على المفاهيم الحديثة و لم تكن تدرك الأفكار في معانيها الأصلية و الأصيلة، أي وجه التواصل فيها مع حضارة الغرب و وجه صلتها مع الفكر الإنساني العام قبل أن تحتكره الحضارة الغربية الحديثة. وهكذا، كان على العرب أن يمتلكوا اللغات الأجنبية- حسب الدولة المحتلة- و يقفوا على معاني الحرية، السيادة، الاستقلال، الدستور، حقوق الإنسان، الديمقراطية، الدولة الحديثة... من أجل أن يتحرروا من الاستعمار، ثم السعي إلى محاولة الخروج من التخلف. و لا زال العرب إلى اليوم يحاولون استيعاب معاني هذه المفاهيم في لغتهم العربية بحيث تعبر عن شخصيتهم بتلقائية و مسئولية.

لا زالت اللغة العربية تحتاج، من جملة أشياء أخرى، إلى تخليصها من الإرث الاستعماري، و استعادة، من ثم الشخصية العربية ذات الاستقلال التاريخي [1] الذي يعبر عن الكينونة العربية القادرة على تقديم الإضافة النوعية إلى الحضارة الإنسانية و تَحَمُّل مصير العالم و مستقبله. لا بل، أن تصفية اللغة العربية مما هو إيديولوجي و رسمي، يعد حافزا آخرا لامتلاك القدرة على التعبير و الكلام الواضح الذي يرتب المسؤوليات. فاللحظة الراهنة، هي لحظة ما بعد الكولونيالية، التي تقارب موضوع أنظمة الحكم

=من منطلق الفهم السليم و الصحيح للمعاني التي ينطوي عليه القاموس السياسي الحديث. وعليه، فقد تمكنت الحركة الوطنية الجزائرية أن تنتزع الاستقلال في مدلوله الصحيح، لكن بقي عليها أن تستوعبه، بعد الاستقلال باللغة العربية في برامج و مشاريع تستعيد بها الشخصية الوطنية التي ضاعت مع الإستعمار.

[1] حول الاستقلال التاريخي للذات العربية، أنظر الفصل الخامس من كتاب محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية،ط4، مركز دارسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.

العربي في سياق تاريخ الاستعمار وما بعده، على أساس أن إخفاقات أنظمة الحكم العربي بعد الاستقلال، تدفع إلى إعادة النظر في مسؤولية الاستعمار الكاملة لما حدث للعرب من تراجع و تخلف و إخفاق.

الفجوة الحضارية بين العرب و الغرب ...أو التفاوت في المصطلح الحديث

هناك فجوة حضارية بين العرب و الغرب لا تني تتفاقم مع الوقت ، خاصة و أن وتيرة التاريخ زادت في هذا العصر الفائق التطور و النماء. وهذه الفجوة يعكسها التفاوت الكبير في استخدام المصطلح في المجال التداولي لدى العرب و لدى الغرب. إن المصطلحات الحديثة و المعاصرة تمثل أصعب التحديات التي يواجهها العرب اليوم و غدا، لأنها تحدد وجودهم ومن ثم هويتهم العربية الآيلة دائما إلى التشكل و لا تكف عن التكوين و النشوء . فالمصطلح الحديث العلمي منه و الفلسفي و السياسي يحمل معاني الحضارة الغربية في كل تجلياتها و مستويات تعبيراتها و أبعادها أيضا، على خلاف نفس المصطلح العربي لا يجاوز الكلمة المرادفة له على صعيد الترجمة دون أن يمتد إلى التوظيف الشرعي له الذي استحق أن يولد من العقل الذي يوظف اللغة العربية في أرقى وعيها بالواقع.

لا زال العقل العربي يستخدم مصطلحات اللغة العربية بشكل مفارق لها أي في غياب بيئتها الحديثة المناسبة لها كأفضل سبيل إلى ترقية متواصلة للغة الكلام و الحديث و الخلق و الإبداع و القدرة على الصياغة و تحليل و تركيب الخطاب الفكري و السياسي. و عليه، تظهر المفارقة و التفاوت ليس في طبيعة اللغة، بل في تقلص المجالات و الفضاءات و التخصصات التي

يجب أن تتسع إليها اللغة العربية في عصر العولمة الذي ابرز مظاهره و ظواهره الديمقراطية التي صارت لها تاريخا و تجربة و مفهوما تستدعي كشرط لازب السياق و القدرة على التمثل ووسائل التحقيق و الإنجاز لمواصلة مسيرة إغناء المصطلح و الحفاظ على شرعية تداوله و ممارسته. إذا كانت الديمقراطية، تعني من جملة ما تعني استعداد دائم لتداول السلطة و الحكم، و من ثم الاحتكام إلى منطق المؤسسة العامة التي تعبر عن فكرة الدولة الحديثة، علاوة على المعاني الأخرى التي لا تكف عن التعبير عن الديمقراطية على مستوى الوجدان ، الوعي و الفكر السياسي و الممارسة الانتخابية، فإن هذا ما يفتقر إليه مصطلح الديمقراطية في المجال العربي العام الذي لا يزال يستحوذ عليه نظام الحكم.

بعد قرابة نصف قرن لا زالت التجربة الديمقراطية في العالم العربي دون المعاني التي ينطوي عليها المفهوم في المجال التداولي الغربي، الأمر الذي فوّت فرصة رائعة جدا عن مفهوم و تجربة الديمقراطية للاستفادة من التجربة العربية الحديثة من أجل إضفاء شرعية تداول المصطلح على الصعيد الدولي، الذي يحتاج إلى رصيد كافة الحضارات و الثقافات الحديثة و المعاصرة. المجتمع الدولي تعبر عنه كل دول العالم، و أفضل سبيل إلى ذلك معاشية المصطلح على مستوى الوجدان و العقل و التجربة و الممارسة. إن النظر إلى حق العرب في إدارة العالم يظهر من خلال لغتهم و قدرتها على استيعاب المفاهيم و المصطلحات و لغات العالم المتداولة اليوم في كافة أنحاء المعمورة. وهذا هو وجه التحدي الحقيقي الذي تتعرض له الهوية العربية عندما تعجز اللغة العربية على التواصل مع بقية العالم بالانفتاح و الاستيعاب والإبداع. فالحق في الوجود يتطلب القدرة على المساهمة و الفعل.

الغالب، أن العرب اكتفوا بترجمة مصطلح الديمقراطية و إحالته إلى القاموس العربي الحديث من دون مثال عن تجربة عربية تؤكد معنى المصطلح و توضحه. و الحال، و هذا هو وجه التحدي، أن تعطلت اللغة العربية بسبب غياب التلاقي بين الفكر و الممارسة كأفضل سبيل إلى توليد المصطلح الشرعي المناسب الذي يساعد على كتابة تاريخ التجربة العربية الحديثة في المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية. فتعريب و ترجمة المصطلح لا يحقق فورا و بشكل تلقائي التجربة الديمقراطية في أبعادها و دلالتها التاريخية و السياقية. و من هنا، هذه الحالة: الفجوة الحضارية لا تزال تفضح العقل العربي في استخدامه للغة بعيدا عن مجالها التداولي و قوتها الدلالية، لحظة التحام المصطلح برحمه و تداخله معه تداخل اللحمة بالسّدى.

يكشف تحليل الخطاب السياسي العربي الحديث و المعاصر عن جوانب من التَّستر على ما تريده الأجيال العربية المتلاحقة. و يظهر هذا التحليل عناد السلطات الرسمية على إبقاء نفس مفردات النظام العربي الذي جاء إلى الحكم عن طريق الحركات التحررية، أو عبر الانقلاب، أو وراثة الحكم... الكل ساهم في اغتيال عبقرية اللغة العربية في التعامل مع الحياة الحديثة في كافة تجلياتها و مظاهرها. إن اغتيال العقل العربي، على ما يرى البعض هو اغتيال للغة بالدرجة الأولى بصرفها عن التمكن وإتقان آلية التفكير و صك وصياغة المعاني للمصطلح وإيحاءاته المختلفة. فقد جرى التعامل مع المصطلح الحديث دون حمولته التاريخية والحضارية و خارج سياقه الأصيل و الأصلي (الغرب دائما). و نأخذ على سبيل المثال ما الذي كان يخفيه مصطلح العلمانية في الخطاب العربي بدل ما يكشفه و يوضحه بصورة يمكن

التفكير به في المجال التداولي العام إن برفض "العلمانية" أو بتبنيها أو بالتحفظ على بعض تطبيقاتها أو مناقشتها في سياقها و مدلولاتها الصحيحة.

منذ ما عرف ببداية النهضة العربية الحديثة رافق مصطلح العلمانية لبسا و غموضا لحداثة اللغة العربية في تعاملها مع حقائق العالم الحديث والمعاصر. فقد ترجمت كلمة "العلمانية" عن الكلمة الفرنسية laïcité، أو عن الكلمة الإنجليزية sécularisation. و لأن اللغة العربية الحديثة صارت تكتب بدون شكل للحروف كتطوير للغة، فقد نطقها البعض العَلمانية ، أي من الدنيا و هذا العالم و تجلياته ، و نطقها البعض الآخر العِلمانية، أي من العلم science الذي يلتزم قواعد المنطق و مبادئ العقل و يفهم الظاهرة في شروطها الموضوعية دونما تأويل أو تفسير خارج عليها. ثم لم يلبث الوضع العربي أن تفاقم، بسبب هذه المرة، من التباعد بين اللغة و المجتمع عندما راحت النخبة مثلا في افتراض ما يبرر شرعية الحديث عن المسألة العلمانية في الحياة العربية الحديثة والمعاصرة. فاللغة العربية، كما لحظنا لا تقوى على استيعاب المصطلحات الحديثة في حيويتها و تاريخيتها بسبب الحصار السياسي و الإيديولوجي، وعليه فقد غاب المعادل الموضوعي لمسألة العلمانية في الفضاء العربي وصار الحديث حولها بدون طائل أو يكاد.

المعنى الواضح الذي نريد أن ننتهي إليه من الفقرة السابقة هو أن الضعف والتخلف العربي حال دون أن تتمكن اللغة العربية من المفردات التي تعبر عن العصر و روحه، ومن ثم تتمكن من طرق مسألة العلمانية بالإضافة إليها

تجارب و معاني جديدة تحد من غلوائها و شططها[1] لدى الأنظمة السياسية التي راهنت عليها من أجل التسلط و الاستبداد[2] و تأبيد المصالح الإستعمارية و الاحتكار و الاستغلال. و بتعبير أكثر وضوحا، أنه بسبب التخلف و الضعف لم يمكِّن العرب لغتهم من استيعاب المفردات الواجب تداولها كشرط إمكان مناقشة إشكالية العلمانية في الفضاء العربي و الإسلامي. و في هذه الحالة لا تعني العلمانية فصل الدين عن الدولة فحسب، بل التعامل مع الدين و مع الدولة، أو الدين و الدنيا على نفس القدر من العمق و التحليل و الدراسة. فليست الدولة في مواجهة الدين ولا الدين في مواجهة الدولة. و على خلاف ذلك وجدنا الفكر السياسي والرسمي يعامل العلمانية كمرادف للكفر و المروق وخروج عن الدين نفسه. إن اللائكية في مدلولها الاصطلاحي الأول تعني خدمة الله من خارج الكنيسة، و أن الأرض كلها معبد لخلق الله، أن الإنسان الذي يسعى إلى الخير و الدعوة إلى الخلاص من خارج مؤسسة الكنيسة هو اللائيكي laïque

[1] كانت فرنسا هي البلد الذي بلور مفهوم العلمانية، و استخلص من تاريخ التجربة قانون مشهور عرف بقانون الفصل بين الكنائس و الدولة الذي صدر في 9 ديسمبر 1905. و لعّل هذا ما جعل السلطة في ما بعد تعاند و تتشدد في تطبيقه إلى حد الشطط و الراديكالية، مما أفسد التوجه العام لمسيرة العالم نحو مزيد من الدنيوية و الابتعاد عن الخرافة و الأسطورة و الغيبيات و احترام المجالات و الفضاءات و التخصصات. ففي التجربة الفرنسية، التي قدمت على أنها النموذج و المثل، طغى السياسي على الديني بشكل سافر و أبعده إلى الحضيض، عانت منه حتما البلاد التي استعمرتها فرنسا.

[2] مثال ذلك نظام الحكم التركي الحديث في عهد مصطفى كمال، ومَن جاء بعده من الأنظمة العسكرية التي تواصلت مع مثال التجربة الفرنسية الراديكالية، و أضافت إليها، ليس مبدأ الفصل بين السياسي و الديني ، بل مراكمة العسكري للسياسي و مراقبة ما هو ديني .

، على خلاف رجل الدين الذي يؤدي وظيفته الإلهية داخل الكنيسة المعروف بالراهب أو الكلاركclerc . ثم استمرت التجربة العلمانية و تاريخها لتواصل سيرورة الدنيوية و البحث المتواصل عن الفضاءات الجديدة و تحرير المجالات من سلطة الكنيسة.

وهكذا، فان مفارقة المصطلح العربي لمجال تداول التجربة وتاريخيتها، أفضى إلى غياب المعنى الحقيقي للمصطلح و من ثم إمكانية التعامل معه نوع من التعامل من حيث الاشتقاق و الاقتباس أو عدم الصلاحية، لكن في المطاف الأخير يجب وعيه و عقله كحقيقة من حقائق العصر الحديث. فقد جرى التعامل مع كثير من المصطلحات الحديثة التي تنطوي بالضرورة على تجربة تاريخية، بلغة متخّلفة متوارثة عن عصر الانحطاط العربي، الأمر الذي أربك الفكر في النظر إلى المسائل و القضايا والإشكاليات الحديثة بما توحي به اللغة العربية الحديثة هي أيضا. من المعروف أن أساس اللغة، أي لغة هو الاكتشاف في عالم الطبيعة وعالم النفس وفي الماورائيات، بحيث يستند المصطلح إلى التجربة ويحايثها إلى النهاية، لينصهر في وجدان صاحبها و يعبِّر في نهاية المطاف عن شرعية استخدام و امتلاك المصطلح في المجال التداولي العام.

في عالم اليوم، العصر الفائق المعولم، صار بإمكان الإنسان العربي أن يلتقط الكلمة في لحظة اكتشافها و استخدامها الأول، و يمكنه من ثم التعاطي معها بقدر كبير من التلقائية و العفوية لأن المشهد العالمي لم يعد قاصرا على النص وحده بل إلى جانبه أيضا الصوت الحي و الصورة الحية. و العولمة بهذا المعنى لا تمثل تحديا بالمعنى السلبي بقدر ما تعني حافزا هاما لأنها تضعنا في صلب العالم و روحه، لا بل قد تساعد كثيرا في إسعاف و إدراك اللغة العربية ذاتها،

عندما يُحْسن استغلال فضاء المعلومات و المعلوماتيا، من حيث ضبط التركيبة الجديدة لقواعد تعليم و تعلّم اللغة العربية و اللغات الأخرى، و كذلك من حيث توفير قدرات جديدة لبنية اللغة العربية من حيث phonétique (الصوتيات)، ومن حيث étymologie الاشتقاق، علم الدلالة sémantique، علم السيمياء sémiotique أو العلامات ...و ما له أهمية في هذا المقام، ما جاء في التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، الصادر عن مؤسسة الفكر العربي، حيث يشير إلى أن أكثر من 90% من أرقام و معطيات و بيانات و الجداول التوضيحية أخذت من مصادر غربية في موضوع يتعلّق بالعرب. أما وجه الإشكال و الصعوبة التي تواجهه اللغة العربية في العصر المعلوماتي و التقني الفائق، فيذكر التقرير هذه الفقرة :" إن اللغة العربية تتميّز بعدد من الخواص الأخرى التي تعقّد تعامل تقنية المعلومات معها. منها تعدد أوجه الصرف المتاحة، و المثال الأقرب تعدد صيغ الجمع (...) و في الوقت ذاته، المرونة التي يمكن بموجبها صياغة الجمل العربية، من تقديم و تأخير و إضمار و حذف و تورية و إبدال لمفرداتها. هذا بالإضافة إلى الطول المفرط للجملة التي اعتاد عليها كتّابها، و تعدد اللهجات و الازدواجية اللغوية للفصحى و العامية و جنوح الكثيرين لاستخدام مفردات و تراكيب مستقاة من اللغتين الإنكليزية و الفرنسية من دون سبكيها و تطويعها وفقا لقواعد محددة. و من الممارسات التي تطرح صعوبات جمّة في التعامل مع اللغة العربية، سواء أكان هذا التعامل آليا أو قام به مترجمون من البشر، الفوضى في التشكيل و استخدام الفواصل و التنقيط و غيرها من

الشارات التي تنظم معاني النصوص و غاياتها، مما يتطلب وضع نظام قياسي متكامل يتم تبنِّيه من قبل كل الوسائط التي تستخدم هذه اللغة"[1].

امتلاك أكثر من لغة مع لغة الأم هي ديدن الإنسان العربي المعاصر، الذي صار يقرأ و يكتب باللغات العالمية، و يقلص حالة الاستيعاب الإمبريالي التي تفرضه الثقافات و السياسات الأجنبية على ما فعله الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر و العشرين. و من هذه الناحية، صرنا اليوم نشهد تقلص ثنائية الغرب و العرب و أنها آيلة إلى زوال لأن العصر المعولم يقتضي في جوهره و تطلعاته إلى التعددية الثقافية و يفتح مجالا إنسانيا مشتركا لجميع الشعوب و الأمم لكي تندرج في التفكير في قضايا الإنسان و الإنسانية و مصيرهما. و لعلّ هذه هي واحدة من نتائج التعليم العام في البلدان العربية التي تُدَرِّس و تُعَلِّم باللغة العربية و اللغات الأجنبية، و صار المتَخَرّج العربي من الجامعات العربية يستطيع أن يشتغل في المؤسسات العربية كما الأجنبية أيضا. و ما بقي، هو إرادة سياسية، لتخليص اللغة العربية من الوهدة التي تعيش فيها منذ لحظة الاستقلال العربي، بمساعدتها على الانفتاح على المجالات والقضايا الحديثة و المعاصرة.

بدلا من الخاتمة...

تكمن قيمة و أهمية اللغة العربية و كذا سائر اللغات الحية في العالم، في أنها وسيلة اتصال و تعبير و إبداع، و من ثم فهي لغة الحضارة و الثقافة و الفكر. غير أن قيمتها الحقيقية تتمثل في قدرتها على التواصل مع النوازل

[1] التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، 2010، ص. 128-129.

و المستجدات الجديدة التي تدرك بها العصر وروحه. فاللغة في هذه الحال، هي لغة الحياة في كل أبعادها و تعبيراتها و مستوياتها التي تعكس أسلوب ونمط عيش و نوعية تفكير وتعامل المجتمع مع نفسه و مع الآخرين، أي هوية المجتمع و الأمة. وثمة حقيقة أخرى يجب أن ترافق اللغة و هي أن تخضع اللغة ذاتها إلى المعاينة وإعادة الفحص الشامل كمنظومة قائمة بذاتها من حيث بنيتها و طرق وأساليب تدريها و الآليات البيداغوجية التي يجب أن تشملها لدى كل جيل من الأجيال التي تتعامل معها و تتوسطها كلغة إبداع و خلق و تواصل.

تعاني اللغة العربية، لا شك، قياسا باللغات العالمية الحية من فجوة هائلة تفضح فعلا هوية الإنسان العربي و مجتمعه، خاصة على صعيد تنسيق الأسماء الجديدة للمخترعات والاكتشافات سواء أكان ذلك على مستوى العلوم النظرية أو التطبيقية أو علوم الإنسان و المجتمع. و عليه، فالتحدي الكبير الذي تعاني منه اللغة العربية في صلتها بالإنسان العربي ومجتمعه هو في ضرورة رأب الشرخ الحاصل في الوجود الفعلي للعرب في هذا العصر المعولم و الفائق التطور. يجب أن ننتمي إلى العصر في كل مستوياته و أبعاده عبر لغة عربية بما تملك من قدرة على التعبير والإيحاء و في صلتها بكافة اللغات الحية السائدة اليوم، و من حيث أن اللغة العربية لغة عالمة و لغة شعبية أيضا لأن الهوية هي كل ما تزدهر به شخصية الإنسان العربي و ما يمثله مجتمعه و أمته، في صلته بالمجتمعات و الأمم الأخرى. و بتعبير موجز و واضح، إن التحدي الذي تواجهه اللغة العربية يظهر على وجه الخصوص في مدى قدرة العقل العربي الراهن على إعادة استثمار مكامن و مكانز اللغة العربية و ما تنطوي عليه من أجل امتلاك التراث العربي

و الإسلامي خاصة منه الهوامش الضائعة و المواطن التي لم يجر فيها التفكير و الاجتهاد، و تأصيل الحداثة عبر الإبداع و الصناعة و الخلق و الاكتشاف. إن اللغة العربية اليوم و غدا مطلوبة كوسيلة و كغاية في حد ذاتها، أي قدرتها على الإيصال و التواصل و قدرتها على تعقل ذاتها بإعادة تشكيلها و البحث في مكوناتها البنيوية لتمكينها من الوظائف الحديثة.

كان على اللغة العربية أن تواجه الحداثة بالعقل العربي الحديث والمعاصر، وليس بتمجيد الحضارة العربية في عصرها الكلاسيكي. فلحظة ازدهار و تطور الحضارة العربية هو في الأساس والجوهر لحظة ازدهار اللغة العربية ذاتها من حيث الوضوح و استيعاب المعاني المتناثرة في الأشياء و الكلمات و الانفتاح على العالم الخارجي كامتداد لخاصية القرآن الكريم الذي يوضح المعاني و الدلالات و العبر إلى الناس كافة، في الأمصار و الأزمان المتعاقبة على الإنسانية. والازدهار و التطور الذي يرافق اللغة العربية معناه العثور على أساليب تبليغ و تواصل و إبداع جديدة كأفضل سبيل لتخطي ما هو قديم و معطل لآلية اشتغال العقل على الأشياء و الكلمات و على نفسه أيضا. اللغة العربية تنتمي إلى اللغات التي صنعت الحضارة و الثقافة و التاريخ، فهي من هذه الناحية تتمتع بحيوية لا تنفد و تتطلع دائما إلى لحظة الدخول مع عوامل إنسانية أخرى لكي تتواصل على سمت الإحياء ثم العطاء.

اللغة العربية، مثلها مثل سائر اللغات الحية في العالم المعاصر تعيش و تواجه التحديات. لا بل يمكن القول أن التحديات و الأزمات و المعضلات هي العناوين الكبرى للعصر الحديث. نوعية الزمن المعاصر تتمثل في الإيقاع السريع للتاريخ و تكثف العلاقات البينية على الصعيد

السياسي و الاقتصادي والثقافي و التقارب الجغرافي أو نهاية الجغرافي على رأي المفكر الفرنسي بول فيريليو. و إطلالة سريعة على القرن العشرين "القصير"، كما يرى المؤرخ البريطاني إريك هابزبوم نجد أن جميع الأمم و الدول و الشعوب، خاصة منها الكبرى عاشت في مواجهة التحديات و المشكلات الكبرى و تجاوبت معها قدر من التجاوب في سبيل تخطيها إلى أوضاع أكثر استقرارا و نموا. و عليه، فالأزمة أو التحدي ليست قدرا على الشعوب الحية ذات المقومات الحضارية و التاريخية الحيوية و الراسخة، بل لها من القدرة على الاستيعاب و التجاوب على رأي المؤرخ البريطاني الكبير أرنولد توينبي .

ومن واقع العصر الحديث ، فان التحديات لا تنطوي إطلاقا على المعني السلبي بقدر ما تشير إلى ما ينبغي فعله و انجازه من أجل تجاوز الأوضاع الصعبة التي لا تحتمل الإرجاء أو التسويف. و بهذا المعنى، فان التحديات هي جزء من ظاهرة عامة في مسيرة الإنسانية نحو التقدم و النماء في كافة أبعاده و مستوياته. و من جملة التحديات التي تحتاج إلى مواجهة و استيعاب، اللغة العربية في صلتها بالهوية التي تطرح في سياق العولمة أو الزمن الفائق، و صارت من ثم أكثر وضوحا، أي في مدلولاتها الحقيقية و في سياقها العالمي الذي يُبَيِّن الصحيح من المزيَّف في الطرح و المعالجة. حقيقةً، الهوية العربية، مثلها مثل الهويات التي تتقاسم العالم اليوم، يمكن بحثها ليس ضدا على الهويات و خصائص المجتمعات الأخرى، بل طرحها في معرض التعرف عليها، لأن الهوية كما عرفنا، صارت تحتاج إلى الآخر من أجل تحديد الذات و الوقوف على حقيقة ما تنطوي عليها من ملامح و قسمات.

اللغة العربية والذكاء الاصطناعي

أ.د. زايدي سحنون
جامعة عبد الحميد مهري
- قسنطينة-

1- مقدمة:

تتناول هذه المداخلة في التعريف بالذكاء الاصطناعي وإمكانية استعماله في إنشاء نظام ذكي يسمح باستعمال اللغة العربية من أجل التحليل والفهم واستنباط المعارف. يعتبر ميدان الذكاء الاصطناعي من أهم الميادين الذي ترتكز عليه كثير من التطبيقات في مختلف المجالات الحيوية في حياة الإنسان.

فاللغة العربية لا يمكن لها أن تبقى بعيدة عن هذا المجال إذا أردنا أن نعطي لها مكانتها الذي تستحقه. فهي إلى جانب أنها لغة القرآن أي وعاء ديننا الحنيف، فهي مكونة من دعائم هويتنا وحضارتنا

الذكاء الاصطناعي

-تعريف الذكاء الاصطناعي

السماح للحاسوب بتأدية مهمات تتطلب الذكاء الإنساني . هناك عمليات معقدة تنفذها الحاسبة بسهولة (مثال ترتيب أعدادا كبيرة).

وفي المقابل عمليات ينفذها الإنسان، حتى بدون تفكير، ولكنها من الصعب تحقيقها داخل الحاسوب. وأهم وسيلة للتعرف عمليا على المهام الذكية هو استعمال اختبار تورينق – Turing. رغم أنه من الجانب النظري هناك من يعترض على هذا الاختبار (الغرفة الصينية).

مهام الذكاء الاصطناعي

• **التفكير اليومي والروتيني**: العمليات اليومية التي ينفذها الإنسان أثناء تفاعله مع المحيط. صعبة التحقيق. من بينها:

– الرؤية

– اللغات الطبيعية

– التخطيط

– الإنسان الآلي

• **التفكير الخبير**: يتطلب التدريب (أنظمة الخبرة – Expert Systems) من بينها:

– التشخيص الطبي

– صيانة المعدات

– ترتيب أجزاء الحاسوب

– التخطيط المالي

تقنيات الذكاء الاصطناعي

تتمثل في كيفية تمثيل، معالجة والتفكير او الاستنباط على معارف من أجل حل إشكالية

i. **تمثيل المعارف:** من أهم مكونات وعمليات النظام الذكي. . إن من أهم نتائج البحث في الذكاء الاصطناعي هي: حل المشاكل ولو بسيطة تتطلب الكثير من المعارف. على سبيل المثل: فهم معاني جملة أو فهم منظر طبيعي أو صورة. إن حل مشكلة، يتطلب معارف حول مكونات المجال وكذلك المعرف حول كيفية التفكير والاستنباط في هذا المجال. المعرفة يجب أن تمثل بطريقة:

فعالة: لا يمكن تمثيل كل العناصر بطريقة مباشرة، بل يجب تمثيل أقل عدد ممكن من المعارف واستنباط البقية.

مدلولية: ربط المعارف بالواقع أي ربط الرموز بمعانيها.

إذن تمثيل المعارف هو: الربط والتوافق بين العالم الخارجي ولغة التمثيل (مدلوليه لغات التمثيل: Knowledge Representation Language). بصفة عامة لا يوجد مسار مباشر نحول حل مشكلة، بل يجب توليد الإمكانيات أو الفرص الممكنة. هناك تقنيات جيدة للبحث في المجالات الممكنة:

– **تقنيات مباشرة:** فهي غير فعالة لأن استعمالها لحل مشكلة يتسبب في ما يسمى الانفجار الاندماجي (عدد كبير من الحالات لا تكفي الذاكرة تخزينها).

– الطريقة الثانية تقوم باستعمال قواعد مساعدة للبحث من أجل التقليص من الحالات الممكنة والوصول إلى الهدف في أقصر طريق.

ii. **البحث:** تمثيل المعارف والاستنباط

السلوك الذكي يكون عن طريق معالجة الهياكل الرمزية (تمثل جزأ من المعرفة) . استعمال لغة من لغات تمثيل المعارف (Knowledge Representation Language-KRL) . هذه اللغات يجب أن تدعم الاستدلال. التمثيل المباشر يؤدي إلى ضياع في الذاكرة. لا بد من إيجاد حل وسط بين قوة التمثيل وقوة الاستدلال. من هنا نستنتج أن لغة تمثيل المعارف يذب أن تتصف بقوة التعبير، قوة الاستدلال و تركيب المعاني فهناك ثلاث طرق لتمثيل المعارف في الذكاء الاصطناعي

- المنطق Logics
- الكيانات المهيكلة Structured Objects
- القواعد المنتجة Production Rules

المنطق لها تراكيب ومعاني محددة ويمكن أن تحتفظ بصحة الاستدلال ولكنها غير فعالة: فقد لا نحتاج إلى قوة البرهان المبني على المنطق. ثم هناك صعوبة تمثيل بعض الحالات الطبيعية كالأحداث الزمنية . فالحل هو إذا استعمال منطق أعلى (High Order Logic) كالمنطق الزمني، المنطق المبهم... أو التراجع عن الشروط ع التي يفرضها المنطق واستعمال لغة تمثيل أكثر مرونة.

الكيانات المهيكلة:_تمثيل المعرفة على شكل مجموعة من كيانات وعلاقات في ما بينها . أهم العلاقات: الجزء: مجموعة جزء من مجموعة أكبر, عنصر ينتمي إلى مجموعة. ويمكن تعريف خصائص الوراثة ضمنيا

الأنظمة المبنية على القواعد: _تتكون من:

– ذاكرة عمل لتمثيل الحالات التي هي محققة حاليا وتسمى ببنك المعطيات

– مجموعة من قواعد على شكل إذا – وعليه (Then – If) وتسمى ببنك القواعد. الجزء الأيسر: إذا كانت بعض الشروط متوفرة (أي أنها موجودة في ذاكرة العمل). الجزء الأيمن: يمكن تنفيذ عملية (إضافة أو حذف معلومات من ذاكرة العمل)

– برنامج يقوم بمراقبة تنفيذ القواعد إذا تحققت بعض الشروط

- **إذا يتكون نظام الخبرة من ثلاث عناصر أساسية:**

– بنك المعطيات التي تمثل المعلومات حول وضعية معينة

– بنك القواعد التي تمثل المعرفة في ميدان معين والتي تساعد على حل إشكالية والمعبر عليها في بنك المعطيات

– المحرك الاستدلالي، فهو برنامج (سلسلة من تعليمات) الذي يسمح باستنباط معلومات جديدة (تنفيذ قاعدة) حسب المعلومات المتوفرة ليست هناك علاقة مباشرة بين بنك المعطيات وبنك القواعد. بل علاقة غير مباشرة عن طريق المحرك.

شرط من شروط تنفيذ قاعدة يتحقق إذا كان هذا الشرط موجود في بنك المعطيات (مقارنة بين الجانب الأيسر من القاعدة) مع محتوى بنك المعطيات. عند تنفيذ قاعدة من القواعد (تحققت كل شروطها) يمكن تنفيذها (أي تنفيذ الجانب الأيمن من القاعدة) من القواعد (أي نقوم بتغيير محتوى بنك المعطيات، إضافة أو حذف). تغيير محتوى بنك المعطيات يؤدي إلى وضعية جديدة وإعادة تنفيذ دورة جديدة للمحرك

يشتغل المحرك حسب ثلاث طرق: تسلسل أمامي، تسلسل خلفي آو نسلسل مزدوج (خلفي وأمامي)

التسلسل الأمامي موجه بالمعطيات ويشتغل على مرحلتين :

- **المرحلة الأولى** : مرحلة الاختيار – معاينة الجزء الأيسر من القاعدة

– ينطلق من محتوى بنك المعطيات (المعطيات الأولى)

– يقوم بإيجاد كل القواعد التي شروطها متوفرة – حساب مجموعة القواعد المرشحة للتنفيذ (أي شروطها موجودة في بنك المعطيات) وتسمى ببناء المجموعة المتنازعة وهي اهم خطوة من عمليات المحرك (وتسمى بالمصفاة)

– يختار المحرك قاعدة من القواعد المرشحة حسب معايير محددة مسبقا (فض النزاع) .

- **المرحلة الثانية**

– يقوم المحرك بتنفيذ محتوى الجزء الأيمن من القاعدة التي اختيرت للتنفيذ (واحدة فقط)

– ويتمثل تنفيذها في تغيير محتوى بنك المعطيات (إضافة أو حذف معطيات)

– بتحصله على محتوى جديد لبنك المعطيات يعيد المحرك تنفيذ المرحلة الأولى

– يتوقف المحرك عند إيجاد المعلومة التي يبحث عنها أو عندما لا توجد أي قاعدة مرشحة للتنفيذ

أما التسلسل الخلفي فهو موجه بالأهداف ، عكس التسلسل الأمامي وينطلق من الهدف .

•المرحلة الأولى

– إذا كان الهدف موجد في بنك المعطيات، يتوقف البحث، الهدف محقق

– وإلا حساب مجموعة القواعد المرشحة للاختيار، أي كل القواعد التي تتكون خلاصتها من الهدف (الجانب الأيمن من القاعدة، عكس التسلسل الأمامي)

– يختار المحرك قاعدة من القواعد حسب معايير محددة

• المرحلة الثانية

– تنفيذ القاعدة التي اختيرت بتعويض الهدف الأصلي بأهداف جديدة المتكونة من كل شروط القاعدة (الجانب ألأيسر من القاعدة المرشحة)

– يحتاج المحرك إذا إلى تركيبة جديدة (المكدس) تقوم تسيير مختلف الأهداف التي يجب تحقيقها

– يعيد المحرك نفس العملية مع الهدف الموجود في قمة المكدس

– إذا كان اختيار قاعدة يؤدي إلى طريق مسدود، يقوم المحرك بطرح هذه القاعدة (مع كل أهدافها) واختيار قاعدة أخرى من ضمن القواعد المرشحة وإعادة نفس العملية

– الملاحظ أن بنك المعطيات لا يتغير أثناء عمليات المحرك ولكن يستعمل لمعرفة الأهداف المحققة بداية

3- النظم المتعددة العملاء

فهو امتداد لميدانين مفهوم الكيان (Object) ومفهوم الذكاء الاصطناعي. فهو ميدان جديد: العميل (Agent) .فالعميل كيان الذكي.

الكيانات الذكية: لا يمكن للحاسوب أن يتنبأ بما يجب أن يفعل: يجب على المبرمج أن يحدد مسبقا كل العمليات أو التعليمات .

ولكن في بعض الأحيان نحتاج إلى أنظمة قادرة أن تبادر بنفسها إلى أخذ قرار مناسب لتحقيق هدفا من أهدافها. هذا النوع من الأنظمة تسمى بالعميل . الأنظمة التي يمكن أن تشتغل في محيط سريع، حركي، غير متوقع، أو متفتح من حيث إمكانية فشل عملية من العماليات تسمى بالعملاء الذكية أمثلة على ذلك كثيرة منها: السيارة الفضائية والبحث على الانترنت.

يعتبر مفهوم العميل الذكي كأسلوب جديد مهم لتصميم وتحقيق تطبيقات برمجية

العميل: نظام معلوماتي متواجد في محيط والقادر على تنفيذ عمليات مستقلة من أجل الوصول إلى هدف من أهدافه . هناك أنواع من العملاء وأنواع من المحيطات حسب طبيعة التطبيقات.:العميل (غير ذكي) والعميل الذكي . العملاء يمكن أن تبادر بدون تدخل الإنسان أو نظام آخر. العملاء تتحكم في حالاتها الداخلية وفي سلوكياتها. فلها استقلالية أوسع من الكيانات

الهيكل العام للعميل يحتوي النظام على:

- **عمليات إخراج:** من أجل تغيير المحيط ، تحكم جزئي على المحيط
- **العميل:** تنفيذ عملية معينة مرتين لا تؤدي بالضرورة إلى نفس النتائج أو تؤدي إلى نتائج خاطئة . إذا يجب أن يتوقع العميل إلى نتائج خاطئة لعملياته (محيط غير محددة)

- يجب أن يحتوي العميل على فهرس العمليات الممكنة. تمثل هذه العمليات إمكانيات العميل. هذه العمليات لا تنفذ في كل الأحوال مثال: رفع طاولة . فللعمليات لها شروط مسبقة (Pre-Conditions) المرتبطة والتي تحدد ما هي الحالات التي يمكن فيها تنفيذ العمليات .فالمشكل الأساسي بالنسبة للعميل هو ما هي العمليات التي يجب تنفيذها من أجل الوصول بأحسن طريقة للهدف.

- هندسيات العملاء هي إذا هندسيات منطقية للبرامج نظم أخذ قرار مرتبطة بالمحيط. فصعوبة العملية مرتبطة بطبيعة المحيط .

4- اللغة العربية والذكاء الاصطناعي

تقنيات وأدوات معالجة، نمذجة وتحليل اللغة العربية عن طريق استعمال الذكاء الاصطناعي

ويرتكز هذا العمل انطلاقا من القرآن الكريم واستعمال نماذج وعينة (Corpus). ويعتبر القرآن الكريم كمرجع أساسي للبحث والتعلم عن طريق الآلة وذلك لمكانة القرآن الكريم عند المسلمين.

ومن تحديات البحث في الذكاء الاصطناعي في مجال اللغة العربية:

i. كيفية تمثيل الحكمة' المعرفة والقوانين والتشريع في أنظمة معلوماتية أي بشكل آخر بناء نظم ذكية التي تسمح بالإجابة على أي تساؤل عن طريق استنباط المعرفة من القرآن الكريم

ii. مساعدة المسلمين وغير المسلمين في فهم وتدبر القرآن الكريم

فالذكاء لاصطناعي في مجال معالجة اللغة والنصوص يرتكز على إمكانية قراءة مجموعة من المعطيات لنص المراد البحث فيه انطلاقا من:

- عينة من نصوص تم نشرها من الجرائد والكتب ونشرات الأخبار...
- وإضافة بيانات وصفية وعلامات تسمح بتحليل وفهم النص.

فهم نص القرآن الكريم والوصول إلى الحكمة والقوانين:

الذكاء الاصطناعي يستعمل الفهم (ربط مختلف المعاني) وكذلك الاستنباط من أجل الوصول إلى الحكمة واستكشاف القوانين. فالتحدي الأساسي يتمثل في الاستعمال الدقيق للكلمات وكذلك النحو والربط بين

مختلف المراجع الكثيرة عل مر السنين (تفاسير، وكتب الفقهاء...)فالذكاء الاصطناعي يعطي فرصة لإعادة تحليل وفهم النصوص (آليا) وإثراء نصوص القرآن الكريم بهوامش التي تعطي الهيكلة اللغوية واستنباط الأحكام الشرعية. من أجل ذلك يجب أولا وضع أنتولوجية (Ontology) تسمح بتوحيد المفاهيم والمصطلحات.

لماذا أممية القران الكريم للذكاء الاصطناعي:

1) فهم الإسلام كقضية أساسية ومحورية في المجتمع الإسلامي
2) استيعاب الفهم العميق والصحيح للقرآن باللغة العربية لغير الناطقين بها.

5- **الخلاصة**:

فاللغة تحيى باستعمالها في المجالات الحيوية . ولا يمكن أن تبقى اللغة العربية بعيدة عن العلوم والتكنولوجيا. فالحضارة لا يمكن أن تبنى بمعزل عن اللغة ولا يمكن أن تبنى في المخبر بمعزل عن المجتمع. إن اللغة العربية قادرة على استيعاب كل المفاهيم العلمية ألم يقل شاعر اللغة العربية

وسعت كتاب الله لفظا وغاية فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات فواجبنا أن نعطي للغة العربية مكانة مركزية للبحث العلمي. وكما قال شاعر اللغة العربية

أتوا أهلهم بالمعجزات تفنا
فبالتكم تأتون بالكلمات

نفحـات شعريّة

أجراس الندى

د/ نذير طيار

جامعة الإخوة منتوري _قسنطينة _

الجزائر

الإهداء: إلى وطن الثورة والشهداء.

شَهَقَاتُ صُبْحِكَ تَشْتَهِي أنفاسي
فَشَذى دَمِي مِنْ تُرْبَةِ الأوراسِ
زمنَ الرَّدَى، رَسَمَ الشهيدُ ربيعَنا
بِدِمائِهِ، فتعجَّلتْ أعراسِي
يا سِحْرَ لَمْسَةِ ريشةٍ مِنْ رُوحِهِ
كَمْ أبدَعَتْ، يا دَهْشَةَ الكرَّاسِ
سبقَ السُّنُونُو [1] بالبشائرِ طيرُهُ
والأرضُ فَوْضى في شتاءٍ قاسِ

[1] السنونو: يمكن الاستدلال على قدوم فصل الربيع بوصول أول طائر من طيور السنونو وتفتح زهور اللَيْلَك .

قال النَّدى: لا ليلَكٌ [1] قبل ارتِشَافِيَ
قُبْلَةً مِنْ فُلِّهِ المَيَّاس
وطنٌ "جَمِيلَتُهُ [2]" كزنبقةِ [3] الضحى
وَأَنا الندى، فَلْتَقْرَعُوا أجراسِي
عَبَقُ الخُزامى مِنْ "حسيبةَ [4]" نُسْغُهُ
وأرى "العقيدَ [5]" مع اخْضرار الآسِ [6]
ديدوشُ [7] فاحَ الياسمينُ بِرُوحِهِ
ولِريحِ يُوسُفَ [8] سِدْرَةُ الأوراسِ
وطنُ الفِدا، أزهارُهُ شُهَدَاؤُهُ
أهدَوْا لهُ أغلى مِنَ الألْماسِ
ها قد عهدتُ مَرَابِعِي في بهجةٍ
هذا أنا، ها أينعَتْ أغراسِي
هذا أنا، أغفو على وطنٍ هُنا

---

[1] أنظر الهامش السابق.
[2] المجاهدة جميلة بو حيرد.
[3] زنبقة الوادي: زهرة حدائق، فوّاحة الرائحة كل زهرة من أزهارها لها شكل **جرس** صغير.
[4] الشهيدة حسيبة بن بو علي.
[5] الشهيد العقيد لطفي.
[6] الآس: الريحان.
[7] الشهيد ديدوش مراد.
[8] الشهيد زيغود يوسف.

ملكَ القوافي ، سَيِّدَ الإحساسِ
أَصْحُو على وَجَعٍ بأوْطانٍ هَوَتْ
أَبْراجُهَا، فَاسَّاقطتْ أضْراسِي
أهلاً بِعِيدٍ تستظلُّ مواجِعِي
بِيقينِهِ مِنْ لفحةِ الوَسْوَاسِ
منذُ احتسيتُ هواك لَذَّتْ غُرْبَتِي
منذُ اشتهاني والرِّضَا في كاسي
منذُ احتويتَ شقاوتي دَلَّلْتَني
هَدْهَدْتَني في يقْظَتِي ونُعاسِي
أهْدَيْتَ لي مِلْءَ الفَوَاجِعِ بهجةً
تَسَعُ الدُّنَى، لَكِنْ لأجْلِ مَقَاسِي
مُنْذُ احْتَوَيْتُكَ والعجائبُ مِهْنَتِي
يا دُرْوَةَ النَّشَواتِ لِلْجُلاَّسِ
هذا أَنَا أَشْدُو بِحُبِّكَ بُلْبُلًا
حتَّى وَإِنْ سَهِرُوا عَلَى إِخْرَاسِي
أَنْتَ الجمالُ مُرَبَّعًا ومُدَوَّرَا
في مستقيمٍ قال للأقواسِ:
«هذي بلادٌ ما خَبَتْ ثَوَرَاتُها

مِنْ تَكْفَرِينَاسٍ [1] إلى عبَّاسِ [2]
قَفَتْ الرِّياحُ شراعَهَا مُذْ أبْحَرَتْ
حتَّى استَوَتْ فوق الأشمِّ الرَّاسِي [3]
ما انْحَنَتْ هَامَاتُها إلا عَلَــتْ
وَيَدٌ تُشِعُّ بلؤلؤِ الغطَّاسِ
أنتِ الجمالُ تَهَنْدَسَتْ آياتُـهُ
فوق الحسابِ وخارجَ المقياسِ»
هِيَ ثورةٌ وسط الجحيمِ تَرَعْرَتْ
أحلامُها عَنْ جَنَّةٍ للنَّاسِ
عَبَثَ الوحوشُ بمائنا وهوائِنا
فَلْيَشْرَبُوا مُرًّا بذاتِ الكاسِ
قَطَعُوا الرؤوسَ والمُحَيَّا بَاسمٌ
يروي ملاحمَ سيرةِ "التَّرَّاسِ" [4]
وَتَلَفَّعَ القلبُ الجريحُ شُمُوسَهُ
كيْ يَخْلَعُوا عنه دُجى الخَمَّاسِ

[1] تاكفريناس : من القادة الأوائل للمقاومة الجزائرية الأمازيغية للاحتلال الأجنبي الروماني.
[2] الشهيد عباس لغرور.
[3] الأشم الراسي: جبل الأوراس.
[4] التراس: كلمة في اللغة الدارجة الجزائرية وتعني الرجل بكل ما تحمل الكلمة من معاني المروءة والشهامة ونبل الأخلاق .

هِيَ فلتـةٌ قدْ هَرَّبَتْـها أمَّةٌ
في وثبةٍ مِنْ أَعْيُنِ الحُرَّاسِ
هِيَ بُرْدَةٌ ما فصَّلتها مُوضَةٌ
في نسجِها شعبٌ شديدُ الباسِ
هِيَ روضةٌ نَثَرَتْ شَذَاهَا فارْتقى
لـَهُ طَيِّبٌ في النَّفْسِ والأنفاسِ
وْصى الشهيدُ: «عدالةٌ، حُرِّيةٌ
إنْ غابَتَا يَنْهَدُّ كلُّ أساسِ»
حُبِّي لِرَبِّي والرَّسُولِ وموطِني
والعالَمين، لَاَقْدَسُ الأقداسِ
حُبِّي لِأهلي... والِدَيَّ وزوجتي،
حُبِّي لِذاتي، شِرْعَةُ الإحساسِ
وَطَنٌ بلا حبٍّ سماويٍّ شفيـ
فٍ لعبةٌ في غابةِ الأرجاسِ
وتديُّنٌ يُلْغي العقول أميرُهُ
يقضي على الأوطانِ بعدَ الناسِ
سِرُّ الأمانِ أمانةٌ مِنْ حاكمٍ
يحيا بنا...للعدل والقسطاس

غَيْثُ الأَبْجَدِيَّات

نذير طيار/الجزائر

أَيِّ نَجْـــــــــمٍ فِي الثُّرَيَّـــــــــا أَسْـــــــــطَعُ؟

وَيَـــــــأَيِّ عِطْـــــــرٍ فِي الثَّـــــــرَى أَتَضَـــــــوَّعُ؟

وَلِـــــــأَيِّ حَـــــــرْفٍ فِي القَـــــــوَافِي أَصْـــــــطَفِي؟

وَمُحَمَّـــــــدٌ بَيْـــــــتُ القَصَـــــــائِدِ.. مَطْلَـــــــعُ

أَلعَـــــــيْنُ دَمْـــــــعُ أَبِـــــــي ذُؤَيْـــــــبٍ(1).. غُصَّـــــــةٌ

كُبْـــــــرَى.. مَحَـــــــلٌّ لِـــــــابْنِ سِـــــــينَا(2) أَرْفَـــــــعُ

"هُـــــــوَ أَوَّلٌ فِي مُعْجَمِـــــــي" قَـــــــالَ الخَلِيـــــــلُ:

"وَآخِـــــــرٌ لَـــــــا هَمْـــــــسَ فِيـــــــهِ الأَنْصَـــــــعُ"(3)

أَلأَبْجَدِيَّـــــــةُ غـــــــادَةٌ .. شَـــــــعَّ البَهَـــــــا

مِـــــــنْ عَيْنِهَـــــــا إِذْ وَجْهُهَـــــــا مُتَبَرْقِـــــــعُ

إِنِّـــــــي ادَّخَـــــــرْتُ العَـــــــيْنَ لِلْهَـــــــادِي وَفِي

حَلْقِـــــــي شَـــــــجًى : صَـــــــنَمُ الأَنَـــــــا لاَ يُبْلَـــــــعُ

فِي الـــــــرُّوحِ بَـــــــدْءٌ(4).. لِلنُّبُـــــــوَّةِ خَـــــــاتِمٌ

وَالعَالَمِيَّـــــــةُ هَمْـــــــزَةٌ لَـــــــا تُقْطَـــــــعُ

بِـــــي غُصَّـــــةٌ كَـــــأَبِي دُؤَيْـــــبٍ..ضَـــــيَّعَتْنِي

بَوْصَـــــلَاتٌ وَهْـــــيِ مِنِّـــــي أَضْـــــيَعُ

الغَـــــمُّ مَـــــزَّقَ نَسْـــــجَ مَـــــا صَـــــلَّيْتُهُ

سَـــــهْوٌ عَلَـــــى سَـــــهْوٍ وَبِـــــتُّ أُرَقِّـــــعُ

وَبَنُـــــو أَبِـــــي خَرَقُـــــوا سَـــــفِينَةَ نُـــــوحِهِمْ

جَفَّـــــتْ بِطُوفَـــــانِ الـــــدِّمَاءِ الأَدْمُـــــعُ

وَاسَّـــــاقَطَتْ أَزْهَارُنَـــــا جُثَثًـــــا عَلَـــــى

جِسْـــــرِ العُبُـــــورِ إِلَـــــى رَبِيـــــعٍ يُصْـــــنَعُ

هَجَـــــرَ الفَـــــرَاشِ فُصُـــــولَنَا، لاَ لَيْلَـــــكٌ

سَـــــكَتَتْ بَلَابِـــــلُ مُـــــذْ تَغَنَّـــــى ضِـــــفْدَعُ

أَلْحِقْـــــدُ عَشَّـــــشَ فِـــــي خَرَائِـــــبِ أَمْسِـــــنَا

وَغَـــــدٌ إِلَـــــى غَيَبَـــــاتِ أَمْـــــسٍ يُـــــدْفَعُ

جُـــــرْحٌ يَعَـــــضُّ شَـــــقِيقَهُ فِـــــي لَـــــدَّةٍ

حَتَّـــــى يَسِـــــيلَ دَمٌ بَـــــرِيءٌ مُشْـــــبِعُ

رُمَّـــــانُ حُلْمِـــــي سُـــــكَّرٌ حَبَّاتُـــــهُ

وَعَلَـــــى لِسَـــــانِي بِـــــالمَرَارَةِ مُتْـــــرَعُ

قَـــالَ النَّـــدَى : أَنَـــا دَمْعُـــهُ إِنِّـــي رَأَيْتُـــهُ
بُاكِيًـــا مِمَّـــا يَـــرَى أَوْ يَسْـــمَعُ
يَجْتَـــاحُنِي دِفْءٌ رَبِيعِـــيُّ الخُطَـــى
وَالْقَـــلُ كَهْـــفٌ مُرْعِـــبٌ مُتَصَـــقِّعُ
يَنْسَـــابُ ضَـــوْءٌ فِـــي الفُـــؤَادِ قَـــرَارُهُ
يَطْـــوِي الزَّمَـــانَ وَفِـــي المَكَـــانِ يُشَعْشِـــعُ
وَيَسُـــلُّنِي مِـــنْ عَـــالَمٍ أَغْفَـــى عَلَـــى
كَـــدَرِ الضَّـــغَائِنِ فَـــالرُّؤَى مُسْـــتَنْقَعُ
وَأَسِـــيحُ فِـــي فَلَـــكِ النُّبُـــوَةِ هُدْهُـــدًا
دُونَ الـــيَّقِينِ مِـــنَ الـــرُّؤَى لَـــا يَرْجِـــعُ
سَـــأَعُودُ مِـــنْ دَفْنِـــي لِنَفْسِـــي كَائِنًـــا
عَبِقًـــا عَلَـــى عَـــرْشِ الشَّـــذَا يَتَرَبَّـــعُ
شَمْسِـــي بِكَفِّـــي أَحْتَفِـــي بِشُـــرُوقِهَا
وَغُرُوبِهَـــا وَالأُفْـــقُ مِنِّـــي أُصْـــبُعُ
أُرْخِـــي حُـــدُودَ مجَرَّتِـــي.. أَكْـــوَانُ بَـــوْحِي
نُدْحَـــةٌ وَالـــرُّوحُ كَـــوْنٌ أَوْسَـــعُ
هُـــوَ رَحْمَـــةٌ لِلْعَـــالَمِينَ وَغَيْمَـــةٌ وثِـــرٌ
عَلَـــى جُـــودِ السَّـــمَا لَـــا تُشْـــفَعُ

تَـــاجُ الرِّسَـــالَةِ.. مَاسَـــةُ العِقْـــدِ السَّـــمَاوِيِّ الَّـــذِي بِالأَنْبِيَـــاءِ مُرَصَّـــعُ
هُـــوَ سِـــرٌّ ذَاكَ العِقْـــدِ.. بَهْجَـــةُ خَيْطِـــهِ
عِيسَـــى وَآدَمَ وَاللَّـــآلِئَ يَجْمَـــعُ
هُـــوَ جَنَّـــةُ الأَوْقَـــاتِ، أَلْطَـــفُ مِـــنْ نَـــدًى
قَمَـــرٌ لِقَلْبِـــي وَالجِهَـــاتُ الأَرْبَـــعُ
يَـــا عِطْـــرَ هَـــذَا الكَـــوْنِ.. زَفْـــرَةَ صُـــبْحِنَا
"صَـــلَّى عَلَيْـــكَ اللهُ" ذِكْـــرٌ يُرْفَـــعُ
ظِـــلُّ الـــيَقِينِ يُحِـــبُّ شَـــمْسَ سُـــؤَالِهِ
وَنَـــدِيُّ حِلْمِـــهِ فِـــي الهَـــوَاجِرِ مَنْبَـــعُ
نُـــورٌ بَـــدَا جَسَـــدًا بِقُـــرْآنٍ مَشَـــى
أَصْـــدَاءُ صَـــمْتِهِ قَبْـــلَ صَـــوْتِهِ مَرْجِـــعُ
يَـــا بَلْسَـــمَ الوَجَـــعِ الأَخِـــيرِ وَنَزْفِـــهِ
أَيُّ الأَطِبَّـــا بَعْـــدَ هَجْـــرِكَ يَنْفَـــعُ؟
كَـالحُلْوِ يَعْقِـبُ مَالِحًـا..كَـرَدَاذِ صَـيْفٍ حَـارِقٍ..كَـدُمُوعِ نَصْـرٍ يُصْـنَعُ
كَـالعِطْرِ يَسْـبِقُ طَارِقًـا..كَـالحُلْمِ يَمْشِـي ضَـاحِكًا..كَشُـمُوسِ بَـرْدٍ يَصْـفَعُ
وَتَحِيئُنِـي الكَافَـاتُ مِـنْ أَقْصَـى الخَيَـالِ حَيَّـةً كَالعَـارِفِينَ إِذَا دُعُـوا
لَـــا الكَـــافُ تَكْفِـــي وَالمُشَـــبَّهُ أَحْمَـــدٌ
لَـــا الـــنَّفْسُ تَرْضَـــى لَـــا المَـــدَارِكُ تَقْنَـــعُ

لَـــــا الشِّـــــعْرُ يَرْقَـــــى لِاصْـــــطِيَادِ نُجُومِـــــهِ

لَـــــا النَّثْـــــرُ حُلْمًـــــا فِـــــي كُنُـــــوزِهِ يَطْمَـــــعُ

يَهْفُـــو المَجَـــازُ لِصُـــورَةٍ تَـــدْنُو قَلِيلًـــا مِـــنْ خُطَـــى ظِـــلٍّ لَـــهُ تَتَمَنَّـــعُ

هَمَـــــسَ الحَكِـــــيمُ: وَلَـــــا تَقُـــــلْ كَمُحَمَّـــــدٍ

لَـــــا الكَـــــافُ تَـــــأْتِي قَبْلَـــــهُ أَوْ تَتْبَـــــعُ

أَلْخَالِـــــــــدُونَ تَبَاعَـــــــــدَتْ أَنْهَـــــــــارُهُمْ

وَتَوَاعَـــــدَتْ:"فِـــــي بَحْـــــرِ طَـــــهَ المَجْمَـــــعُ"

وَالصَّـــــــــاعِدُونَ إِلَـــــــــى دُرَى إِشْـــــــــرَاقِهِمْ

رَشَـــــفُوا الهُـــــدَى مِـــــنْ كَأْسِـــــهِ فَتَمَتَّعُـــــوا

مِيلَـــــادُ أَحْمَـــــدَ لِلْبَصَـــــائِرِ نَشْـــــوَةٌ

بَـــــابَ المَوَاقِيـــــتِ المَرَايَـــــا تَقْـــــرَعُ

وَادٍ يَفِـــيضُ..بُحَيْـــرَةٌ سَـــتَغِيضُ .. تَخْمَـــدُ نَـــارُ كِسْـــرَى..قَصْـــرُهَ يَتَصَـــدَّعُ

إِبِـــــلٌ صِـــــعَابٌ خَلْفَهَـــــا خَيْـــــلٌ رَآهَـــــا

المُوبَـــــذَانُ لِنَهْـــــرِ دِجْلَـــــةَ تَقْطَـــــعُ

قَـــــدَرٌ جَمِيـــــلٌ بِانْتِظَـــــارِ حَلِيمَـــــةٍ

فِـــي بَيْـــتِ هَاشِـــمَ..مِـــنْ يَتِـــيمٍ تُرْضِـــعُ

هِـــــيَ مَـــــا دَرَتْ وَالثَّـــــدْيُ يَطْلُـــــبُ رِيقَـــــهُ

أَنَّ الغَمَـــــــــامَ لِعَـــــــــذْبِهَا يَتَجَـــــــــرَّعُ

لَكَأَنَّـــــهُ بَـــــدْرٌ جَنَـــــا فِـــــي حِجْرِهَـــــا

مِـــــنْ وَهْجِـــــهِ كُـــــلُّ الخَلَايَـــــا تَلْمَـــــعُ

يَـــــأْوِي إِلَيْـــــهِ ذِرَاعُهَـــــا..وَإِذَا غَفَـــــا

فَشَـــــــــهِيقُهَا لِـــــــــزَفِيرِهِ يَتَتَبَّـــــــــعُ

فِـــــي حَرِّهَـــــا بَـــــرْدُ النَّسَـــــائِمِ رِيحُـــــهُ

فِـــــي قَرِّهَـــــا نَفَسًـــــا لَـــــهُ تَتَلَفَّـــــعُ

بَرَكَاتُـــــهُ لَاحَـــــتْ فَـــــوَرَّدَ ثَـــــدْيُهَا

وَالأَهْـــــلُ لِلْـــــآه الْمُـــــرَابِطِ وَدَّعُـــــوا

تَمْتَـــدُّ شَـــمْسٌ لِلْقُلُـــوبِ..يَهِـــيجُ شَـــوْقٌ..تَنْمَحِـــي غُصَـــصٌ..تُصَـــلِّي أَضْـــلُعُ

قُلْـــــتَ: اسْتَضِـــــيئُوا بِالمَحَبَّـــــةِ تُزْهِـــــرُوا

أَفْشُـــــوا السَّـــــلَامَ وَبَـــــذْرَهُ فَلْتَزْرَعُـــــوا

مِـــــنْ خَيْـــــرِكُمْ ذَاكَ الحَبِيـــــبُ لأَهْلِـــــهِ

وَالكَـــــــوْنُ دُونَ مَحَبَّـــــــةٍ يَتَضَعْضَـــــــعُ

وَأَحَـــبُّكُمْ لِلَّـــهِ مَـــنْ فَـــرَشَ الـــوُرُودَ لِخَلْقِـــهِ فَهُـــوَ الضَّـــحُوكُ الأَنْفَـــعُ

لَـــــنْ تُؤْمِنُـــــوا حَتَّـــــى يُبَـــــرْعِمَ قَـــــوْلُكُمْ

وَيَـــــذُوقَ ثَمْـــــرَهُ جَاحِـــــدُونَ وَرُكَّـــــعُ

غَيْثًـــــــا فَرُوحُـــــــوا وَانْثُرُوهَـــــــا حِكْمَـــــــةً

تَغْـــــــدَو رُعُـــــــودًا لِلْمَظَـــــــالِمِ تَقْلِـــــــعُ

هَـــــــذَا يَقِينِـــــــي ..دُقْتُـــــــهُ فَعَرَفْتُنِـــــــي

يَـــــا لَيْتَـــــهُ ظِلِّـــــي الَّـــــذِي لَـــــا يُخْلَـــــعُ

الهوامش:

(1) هو الشاعر الجاهلي أبو ذؤيب الهذلي صاحب القصيدة البكائية العينية التي مطلعها:

أَمِـنَ الـمَنونِ وَرَيْـبها تَتَوَجَّعُ/ وَالـدَّهرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

(2) هو الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب القصيدة العينية عن النفس، التي مطلعها:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الـمَحَلِّ الأَرْفَعِ/ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّـــعِ

(3) هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض، وصاحب أول معجم للغة العربية، "كتاب العَيْن"، الذي بدأه بحرف العَيْن، وكان يعده من أقصى الحروف مخرجا وعلل اختياره هذا بقوله: «لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء الكلام ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبْدَلَةً، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفيَّة لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدتُ العين أنصع الحرفين؛ فابتدأت به ليكون أحسنَ في التأليف» (السيوطي: المزهر 1/ 70.)

(4) إشارة إلى حديث: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ" الأحزاب: 7 ،كان يقول" :كُنْتُ أَوَّلَ الأَنْبِياءِ فِي الخَلْقِ، وآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ".

ترنيمة الأكمام

أ.د/ ناصر لوحيشي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
–قسنطينة

تتفـــــــق الأكمـــــــام حـــــــين تعيرهـــــــا
عـــــين الحـــــنين فيـــــا دقـــــائقُ أَنْظِـــــرِي
يـــــا مُرســـــلاً أفَّ الســـــؤال ومانعًـــــا
كـــــفَّ الوِصَـــــالِ –هـــــداك لطفلـــــك – أَقْصِـــــرِ
فَمَـــــدارك الوهَّـــــاج لمحـــــة بســـــمة يـــــا
وضـــــلوع ســـــرِّك قطعـــــةٌ مـــــن سُـــــكَّر
صـــــيف قلـــــبي هـــــل تريـــــدُّ غمامـــــة
فربيعنـــــا الـــــدّريِّ لم يَتَـــــأَخَّر
صـــــعّرت خـــــدّي للخريـــــف وريحـــــه
ومشـــــيت أزرع حلمنـــــا في أبحـــــري

يـــــا صـــــاحبي أثلجـــــت صـــــيفي والـــــرُّؤي

كالأربعـــــــــــاء محَطَّـــــــــــةُ المُتَحَيّـــــــــــر

دنّقـــــــت في وجـــــــه الصّـــــــباح وجدتـــــــه

قطعًـــــــا مـــــــن النّـــــــور البَهـــــــيِّ الأَبْهَـــــــرِ

غُـــــــدنا الـــــــذي لوّنتـــــــه، بالكبريـــــــا ..

ء وبالطباشـــــــــير النّـــــــــدَيّ الأخْضَـــــــــرِ

ســـــــــيعيدُنا طِفْـــــــــلاً رأوا أحلامهـــــــــم.

عَبَقًـــــــا تذرّيـــــــه الرِّيـــــــاحُ بمقفـــــــر.

معالة الغروب

أ.د/ ناصر لوحيشي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- قسنطينة -

أذن الغـــــــروبُ وأنـــــــت مـــــــا نـــــــاديتني
كـــــيْ أســـــتظلَّ بـــــدفء قلبـــــك يـــــا أبـــــي
أذن الغـــــــروبُ وســـــــرّ صـــــــمتك لحظّـــــــةٌ
قُدُســـــــيّة، راحـــــــتْ تـــــــودِّع مـــــــوكبي
أذن الغـــــــــروبُ، وهـــــــــذه ســـــــــيّارتي
عطشـــــــى، ولمحـــــــك ريُّهـــــــا في مـــــــذهبي
فشـــــحوبها مـــــن بعـــــد نومـــــك ســـــائلٌ
كـــــفَّ المســـــاءِ، كأنَّـــــه حـــــزن النَّبِـــــي
ومحلّـــــــك الوضّـــــــاء قطعـــــــة حُلكـــــــةٍ
والعنكبـــــــــوت بنســـــــــجها لم تتعـــــــــب
القُفـــــل، قُفـــــل البـــــابِ ينـــــزِف دمعـــــةً
والكـــــفُّ كَفُّـــــك غَيبـــــةٌ فِـــــي غُيَّـــــبِ

"دَدَّا" ودال بالصّـــــــــــــــدى رجّعتهـــــــــــــــا

فتقـــــــــــــاطرتْ نبراتُهـــــــــــا كالصَّـــــــــــيِّبِ

شـــــــرّقتُ نحـــــــو البحـــــــر أجنـــــــى ســـــــلوةً

لكـــــــــنَّ موجـــــــــك طلعـــــــــةٌ في مِغـــــــــربَ

يـــــــا شـــــــاطئ الكلمـــــــات لطفًـــــــا بـــــــالفتَى

ردّد معـــــــي يـــــــا عـــــــين لاَ .. لاَ تَســـــــكبَي

أمْسِـــــــك ســـــــحابتَك الـــــــتي خبّأتهـــــــا

يومًـــــــا لصـــــــائفة الـــــــرّويِّ المُعجـــــــبِ

أنـــــا إن عَجِـــــزتُ فـــــلا تَلـــــمْ مـــــا أظهـــــرتْ

خَفقـــــــاتُ قلـــــــبيَ فِـــــــي ربيـــــــعٍ قُلَّـــــــبِ

غالبـــــــتُ جَمرتـــــــيَ الـــــــتي حاصـــــــرتُها

بـــــــالمفرداتِ الخُضـــــــر إذْ شـــــــارفْن بِـــــــي

كبـــــدَ السَّـــــمَاءِ، فرحـــــتُ أقتطـــــفُ النَّـــــدى

مـــــن ســـــدرة البـــــدءِ الـــــذي لم يُسْـــــلبِ

وهنـــــــتْ حـــــــروفيَ والظـــــــلام ظهيرُهـــــــا

قطّعـــــــت مـــــــتن البحـــــــرِ عنـــــــد المَرْقَـــــــبِ

" وإني مسّني الضرّ"

د/ ليلى لعوير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وإنّي مسّني الضرّ
وأنت اللّه في الملكوتِ
ربّا، يسمع الآهاتْ
يواسينا
يصبّ ُ الصّبر ماءا
في مآقينا
فيلغينا
ويُلْغي الدّمع أشفارا
فتمطرنا سماء العين
أنّاتِ وتلوينا
عذاباتٌ،هي الأوجاعُ
يا ربُ
عذاباتٌ
عذاباتٌ
سماواتٌ

فتوحاتٌ

تسافرُ ها هنا ، بالوجدْ

تسافرُ هاهنا ، فينا

تطوف البحر بالزخّاتْ

فيرمي الموج ألواحهْ

هنا الرّحماتُ

و الجنّاتْ

فبطن الحوتِ

لن يقوى

على ضَمِّ

حبيبٍ

ضرّه ،بركاتْ

حبيبٌ غازل الأسحارَ

ناجى

وارتمى كلماتْ

لأنت اللّهُ...

أنت اللّهُ...

أنت اللّهُ...

في الظلماتْ

وإنّي مسّني الضرُّ
وإنّي مسّني الرّحماتْ
.....
بياضُ القلب أوجاعُ
وسحرُ النّور أطماعُ
تزيل القيد عن روحي
فتعتقُها
فتصحو الآهُ
تسبيحهْ
لتذهلَ في تجهُّدِها
فأركضُ حافيَ القدميْن
كالعطّار يؤرقه هوى الرّيحهْ
هنا ريحيِ
وروْحي
و الرّياحين
هنا الرّيحهْ

.....

بكت أنفاسي َالحرّى
عمى الألوان في الظلماتْ

بكتْ ، حزنًا ، دياجيرَ من الآهاتْ
ولولا أن رأتْ برهانَ باريها
لما استبقتْ،
وقد قدّتْ قميص الضرّ
من دبرٍ
تزلزل سكرة اللعناتْ
ليرمي النّورُ قمصانهْ
على أهذابيَ الحرّى
بريقًا يحمل العطرَ
هنا الحَضْرَهْ
هنا الخُضْرَهْ
هنا البركاتُ
و الجنّاتْ...
وإني مسني الضرّ
وإني مسّني الرّحمات ....

مضـــــايا

د/ ليلى لعوير

احترفت الصمت لكن
خانني الصمت مضايا
لم يعد للصمت في الصدر مكان
وبهاء الشام
تعصره المآسي
والمنايا
بين جنبيه
وفي ادلب
والريف
وجوبر
والبقايا.....
يا دمشق
هل سلام من صبا بردى أرّق
صار رقا
هل حديث الرّوح عمن يلبس الأنواء
لحما صار حمقا
هل دما ء الأم
والفتيان

والشّيخ المسجّى
ببكاء الليل حذقا
هل ضمير الموت حيّ
ورمال الشط حوت
تلقف الرضع خنقا
هل أنا فيّ من الإنسان بعض
أم تهاوت كل جدراني
ولم يبق مع الأشلاء حقا
بعد أن صارت حروفي
يا...أنا
الإن..س..ا..ن
رتقا ثم رتقا
ثم رتقا
أرعبتني
في سماء الموت
أوجاع الطفوله
أرهقتني صورة
المرميّ لحما غجريا
يلعق اللّيل أفوله
عذّبت روحي
تجاعيد الأماني
ترسم الذلّ بطوله
هل أنا فيَّ من الإنسان بعض

أم تهاوت كل أسماء الرجوله
يا دمشق
باعنا بالبخس ، من شدّ الرّحيل
وتمطّى صهوة
المجد ذليلا
تاركا في الأفق، من يبكي عليلا
صورة المنسي في التاريخ
سيفا عربيا
قلّ أن تلقى مثيلهْ
صورة الموتى، جحيمٌ
وجحيم الموت
رفس الرّوح
غيله
يا دمشق غرباء
هاهنا ، بين الجوانح
لا، صلاح الدين يشدو
لا، أميّهْ
صمتتْ كل الأراضي
سكتتْ سرّا عليّه
هل أنا في من الإنسان بعض
أم تهاوت كل جدراني
ولم يبق مع الأشلاء شيأٌ
يا دمشق

حلب تبكي مضايا
و مضايا ، ك : حلبْ
دمعها المنسيّ، لون غجري
يلبس الأحمر ثوبْ
وأنا بين البقايا
كلّ ألوان المتاهْ
يبعث الآه منايا
و لهبْ يا دمشق
صمت الآذان والليل تجمّدْ
ونها رات الليالي
ترفض الصبح المعبّدْ
وأنا بين صريم الموت عسجدْ
يقهر الذلّ ويأبى
أن تكون الشام معبدْ
لتراتيل الخطايا
في بلاد الغور
والشاميُّ أحمدْ
هل أنا فيَّ من الإنسان بعض
أم أنا بعض لأحمد
صاغه الرحمان نورا
يلقف الليل المؤبد
ويغنّي في تجاعيد الليالي
إنّما الشّام محمّد

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

برنامـــــج الاحتفائيـــة..... 3
الديباجـــــة..... 5
خطاب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية..... 6
أ د صالح بلعيد
افتتاحية الاحتفاء بالضاد ...الوجه الحـضاري للغة العربية..... 13
كلمة مدير الجامعة أ.د السعيد دراجي..... 19
كلمة اللجنة العلمية 22
البعد اللساني والتغييري للغة العربية..... 26
/ ذهبية بورويس
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–
تجديد العربية كتاب (نظرية اللغة العربية) أنموذجا..... 47
أ.د. يوسف وغليسي
كلية الآداب واللغاتجامعة الإخوة منتوري – قسنطينة
تحديات تعريب العلوم في الجزائر..... 69
أ.د. جمال ميموني
قسم الفيزياء، جامعة منتوري، LPMPS، قسنطينة
اللغة العربية لغير الناطقين بها من التعليم إلى الاكتساب..... 87
أ.د. الجمعي شبايكي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ

اللغة العربية و الهوية في عصر العولمة..... 105
الدكتور نورالدين ثنيو
جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-
اللغة العربية والذكاء الاصطناعي..... 140
أ.د. زايدي سحنون
جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة
نفحـــات شعرية أجراس الندى..... 151
د/ نذير طيار
جامعة الإخوة منتوري _قسنطينة _ الجزائر
غَيْثُ الأَبْجَدِيَّات 156
نذير طيار/ الجزائر
ترنيمة الأكمام..... 163
أ.د/ ناصر لوحيشي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة
مقالة الغروب..... 165
أ.د/ ناصر لوحيشي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة –
"وإني مسّني الضرّ"..... 167
د/ ليلى لعوير
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
مضـــــــايا..... 171
د/ ليلى لعوير

ISBN : 978-9947-821-99-2

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرتكلين روزفلت، ، الجزائر
الهاتف : 213.021.23.07.24/25 الناسوخ : 213.021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz
البريد الإلكتروني : manchourat.csla@gmail.com